المقدمة

أن تغرق في عشق القهوة مأساة دائمة؛ ستترك آثارًا مُرة بعد كل رشفة، آثارًا ستبقى مدفونة في حلقك تطالب بالمزيد، تسيطر على مزاجك وتتربع في مخيلتك، رائحتها ستبقى ثابتة في أنفك، ستحبها رغمًا عنك، وتحبك رغمًا عنها.

إهداء إلى صُناع القهوة.

فراشة

كنت فراشة صغيرة لها جناحان من الأمل والتفاؤل، فتاة من عائلة بسيطة لكن لها طموح يكفي العالم أجمعه، كنت أعيش على أمل أنني سأحقق ما يفوق توقعات الجميع، أدرس باجتهاد، وأعمل بجهد، التهم الكتب وأدخر كل قرش؛ حتى استطيع شراء المزيد، كنت أظن أنني سأصبح يومًا ما كاتبة مشهورة ويذيع صيت كتبي في أرجاء العالم، كنت عبارة عن طاقة على هيئة إنسان حتى قابلتك يا عزيزي، كانت حياتي تسير بشكل عادي حتى التقت عينانا في ذلك اليوم، أتذكر كل تفاصيل ذلك اليوم الذي غير مجرى حياتي، نظراتك التي أربكتني، وابتسامتك التي أسرت قلبي نبرة صوتك وأنت تحادثني..

قبل أن تأتي إلى منزلنا، كنت أحاول جاهدة أن أمنع هذا اللقاء؛ متحججة بإنني لا أريد زواجًا تقليديًا، ولكن بعد أن رأيتك أردت أن لا ينتهي لقائنا هذا أبداً، يومها ساد الصمت بيننا ولكن قلبانا تحدثا..

تم التعارف، وتمت الموافقة على خِطبتنا، ثم توالت اللقاءات وكثر الحديث بيننا..
قُلت لي: بإنك لا تُمانع أن أكمل كل خططي، وأن نجاحي هو نجاحك؛ فهدأ قلبي، فقد كان هذا هو أكبر عائق يمنعني من الموافقة على الزواج..

تم كل شيء بشكل سريع حتى أنني ذُهلت؛ أنا التي كنت أرفض حتى التحدث عن الزواج أجري في كل الاتجاهات؛ حتى يتم كل شيء بالشكل الصحيح..

في يوم زواجنا حمدت الله؛ أنني من خُلقت من ضلعك، وأنك من جئت؛ لتكملني..

نظرت إليك ورأيتك السند الذي لا يميل أبداً وكأنك الضلع الثابت الذي وهبنيه الله..

استأمنتك قلبي، وأشرت لك على ضعفي، وأنا أؤمن أنك خير من استأمنه؛ على ضعفي، وزلاتي، وانكساراتي، وأنا مؤمنة أنك ستجبرني، وتحميني حتى من نفسي..

ويشهد الله أنني قضيت معك أيامًا ذُقت فيها معنى النعيم، ذُقت معنى السكن والسكينة المجتمعين في شخص واحد، أن يكون قوامًا لكِ لا عليكِ، خضت معك تجارب ما كنت أتخيل مجرد التفكير بها، كان شهرا واحداً كفيلا بإن يغير مجرى تفكيري، بعدها تبدلت أولوياتي، وصرت أنت على قمة القائمة..ظننت الحياة راضية عني، ولكن الحياة دائمًا ما تفاجئنا..

ثلاثون يومًا في النعيم تحولت حياتي بعدهن إلى جحيم..لم تستطع الصمود أكثر حتى تخلع عنك هذا القناع، حتى تُظهر هذا الوحش الذي كنت تخفيه..صار وجودك جانبي أكثر ما يثير رُعبي بعدما كنت أنت الأمان..

كل ليلة تعود مخموراً، تتحدث دون وعي، تنعتني بأقبح الأوصاف لم تدع موضعًا في جسدي إلا وطاله بطش يدك وأنت غير مدرك..

كانت تلك صدمتي الأولى قبل أن تتوالى الصدمات، حينما طلبت الطلاق، فلم ترضَ أنت، ولم أجد شخصًا واحدًا من أهلي؛ ليدعمني.. وكأنني كنت عبئًا، تخلصوا منه، ولا يريدون عودتي مرة أخرى..

تضرعت إلى الله يوميًا أن يُخلصني منك، فأنا فقط أردت أن أكون صديقتك قبل أن أصبح زوجتك، أن تراني بعاديتي مكتملة، أن تُخَلّد قصة حُبنا ولكن قصتنا عُمرها كان قصيرًا، أقصر من أن استوعب أنه انتهى بهذه السرعة..

بعدها تبدل الحال وانقلب، فقضيت معك أيامًا أود لو أنني أستطيع أن أمحوها من ذاكرتي، حتى أتى ذلك اليوم الذي أخبرتني فيه:

عن نيتك للسفر، لم أستطع كتم فرحتي.. بكيت كثيرًا؛ عندما علمت أنك لن تعود قبل ثلاث سنوات، وأنك ستسافر دوني، تظاهرت بالحزن وأنا أكاد أطير فرحًا..

مرت الأيام التي تسبق ذهابك ببطء شديد. كنت أعد الدقائق؛ حتى موعد رحيلك.. وحين رحلت أنت شعرت أنني أستطيع التنفس أخيراً، لن أنسى أنني جلست في أرض المطار أبكي، والجميع يظنني حزينة؛ لفراقك، بينما أنا ابكي فرحًا؛ لأنني تخلصت منك أخيراً..

مر بعض الوقت قبل أن يصدمني خبر حملي، فكرت أن أُجهضه، ولكنني تراجعت؛ فماذا كنت سأجيب خالقي؟ عندما يسألني: بأي ذنب قُتلت تلك الروح؟

مرت أيام كان النوم فيها هو أكثر ما أتمناه، كان عقلي يحترق من التفكير، ولكنني قررت في النهاية أنني سأرسل لك؛لأخبرك بنبأ حملي..لم أكن أريد أن آتِ للدنيا بطفل يحمل اسمك، ولكن الصدمة كانت عندما علمت بإنني أحمل داخلي روحين وليست روحًا واحدة...

مرت الأيام ثقيلة، ولكنني قررت حملها وحدي، قررت أنني لن أتسول اهتمامًا من أحد..

أتى اليوم الذي وضعت فيه طفليَّ كانا ملاكان صغيران..كنت أنظر إليهما وأنا أبكي وحيدة، مرت الأيام بثقلها، كنت أحزن كثيرًا وأبكي، أحاول الهرب من أحزاني بالنوم، ثُمّ افيق ليلًا؛ لتلاحقني ذكرياتي، ولكن بعد وقتٍ قليل بدأت الحياة تبتسم لي، تلخص عالمي في ابتسامة ملاكيَّ الصغيرين.. كانت ابتسامة من أحدهما تكفيني؛ لأكمل يومي مبتسمة مقبلة على الحياة..

مرت السنوات الثلاث قبل أن تعود أنت، وتعود معك الأميّةُ التي كنت فارقتها يوم رحيلك..

استقبلتك بابتسامة مصطنعة، وقابلتني أنت ببرود تام..لم تكن مشتاقاً حتى لرؤية طفليك، كنت أعيش قلقة من أن تعيد كرتك، ولكنك هذه المرة كنت هادئًا تماما، صحيح أنك كنت بارد المشاعر ولم توجه لي سوى بعض كلمات قليلة، تطلب حاجتك، ثم تصمت، ولكنني ارتحت لهذا الوضع، فلم أتمنى أن يرى أطفالي أمهم تعاني؛ بسبب والدهم.. تمنيت لهما أن يحيا بهدوء،

دفنت أوجاعي؛ لئلا يشعرا بها، وقررت رسم ابتسامة زائفة على وجهي طوال الوقت.

مر وقت طويل ونحن على نفس الحال، ظننت أن الحياة قررت منحي الطمأنينة أخيراً وإن كانت سعادتي ناقصة إلا أنه كان يكفيني فقط شعور الأمان، كان يكفيني فقط أن تدعني وشأني، أن تتركني أحيا برفقة الصغيرين حياة هادئة،

ولكنني أخبرتك سابقًا: أن الحياة تفاجئنا، ولسبب لا أعلمه كانت الحياة تتفنن كل مرة في مفاجأتي بشكل مختلف..

مرض الصغيران مرضاً شديدًا، في نفس الوقت لم تهتم وكأن الذي بين ضلوعك حجر، وبدماء باردة أخبرتني: أنني من أهملت رعايتهم، وأنه إن حدث لهم شيء فإنني المسؤولة،كنت تائهة لا أعلم ما الذي ينبغي علي فعله، تقطعت السبل وأنا أجهل أي الطرق أسلك، كنت أناديك؛ لعلك تسمع، ألوح لك؛ لعلك ترى،

أقول لك بصوتي الضعيف:أنني أنا الفتاة نفسها التي أحبتك، أنا تلك الصغيرة التي وعدتها أن تدللها، وبدلًا من ذلك أصبحت مسؤولة عن صغار لا تدري كيف تعتني بهم؟

أنا تلك الفتاة التي علمت أن نعومتها لن تعينها على حملها، أنا تلك الفتاة التي قَتلت أنت أحلامها بدمٍ بارد، أنا تلك الصغيرة التي كَبُرت قبل أوانها،

كنت بالأمس فراشة لها جناحان من الأمل والتفاؤل، والآن صارت الفراشة تحمل فوق جناحيها اليأس والحزن..

فقدت طفليَّ في نفس الأسبوع وأنت تدرك أن ما فقدته ليس قليلاً، ولكنك تخليت عني في منتصف الطريق، تركتني أغرق بين التيه والحزن.

كنت فتاة عادية، عادية بكل ما تحمل الكلمة من معنى، بسيطة غير متكلفة،

كنت عادية بطريقة ملفتة في وسط كل هذا الصخب من التصنّع..

فتاة أخبرتها أنت:أنها مميزة بعاديتها؛ لأنها تتحدث دون تصنع، عفوية بشكل مبهر، ومبهرة بشكل ليس له مثيل، طبيعية بشكل خلاب، ألم تخبرني أنه كان يكفيك أن تتأمل وجهي؛ لكي تستقر نفسك، وتشعر بأناة وجدانك؟

ألم تقل أنت أن سماع صوتي كفيل بأن يجعل أحزانك تتداعى حتى تفنى؟

ألم تخبرني في لقائنا الأول أنني بهية بطريقة تشعرك بأنني الكاملة دون نقصان؟ بأنني مزيج من طيب الحياة؟ بأن لي قدرة على بعثرتك وترتيبك في آن واحد؟ أن لي حضورًا وهيبة، ورقة، ووداعة؟ مزيج من الجمال، والحسن بعادية مبهرة..

كنت أريد الحفاظ على عاديتي.. لمَ سلبتها مني؟ لم طمست هذه العادية المبهرة، فأخفيت ملامحها، وأبدلتها بأخرى، أخرى فقدت كل شيء، فلم يعد يهمها شيء..

لم أهرب يومًا من الأشياء، واليوم كل ما أفعله هو الهروب، أهرب من مواجهتك بسوئك، من مواجهة أهلي الذين تخلوا عني، من مواجهة ضعفي أمامك وأمامهم، أستيقظ؛ لأنتظر موعد نومي، بُتر جناحيّ وبُترت معهما أحلامي، وصرت الآن شبح لذكريات لن تُمحى، ليتك تركتني بعاديتي..

ساره فاضل/ مصر

الرجل والشرف سيان

في قرية لم يذكر راوي قصتها اسمها ولم يحاول كشف جمالها أو التغزل بها قليلًا، قرية لم يذكر عنها إلا أنها تفتقر إلى الرجال، ومليئة بالوحوش، ومغتصبي حقوق النساء.

قرر خالد أن يروي لكم قصته المكبوتة في قلبه منذ تسع سنوات، وعندما أجرينا مقابلة معه؛ تحدث ويخرج ما ينطق بداخله إلينا، ولكن علامات الألم لم تفارق وجهه، وعينيه مطفأتين؛ تراها مكسوة بالحنين.

يقول خالد: نحن خمسة إخوة وأنا الأصغر والمدلل في البيت، رزقنا الله بفتاة واحدة قمنا بتربيتها بطريقة قاسية جِدًّا، لا أصدقاء، لا هاتف، لا خروج من البيت لقد تم تقييدها منذ بلغت عقدها العشرون، ورغم ذلك تخاف أن تتذمر أو تعارضنا بكلمة واحدة.

لم نر الحزن والدموع المتجمعة في عينيها، ولعلنا رأيناها فقررت غطرستنا تجاهلها، وتركها تنازع صراع الجهل الذي يتلبسن لوحدها، فهي امرأة ذليلة بنظر إخْوانِ ونظري أيضًا فأنا لست بريئًا، إلا أنني شيطان صغير يَبُثّ سمومه بمكر، والندم لا ينفع الآن؛ ترياق السموم التي نشرتها.

لا يباع في قريتنا ونحن لم نحاول البحث عنه في مكان آخر؛ كي لا نقلل من كرامتنا ومكانتنا وشأننا أمام حمقاء القرية، شعارنا الذي نستمد منه طاقتنا كان، فلتمت المرأة ونشرب من دمائها لعلها لذيذة مثل طعم جسدها.

لن ألقي اللوم على والدتي، ولا تلقون أنتم اللوم عليها أيضاً؛ فأمي أيضاً كانت حشرة أبي المفضلة التي لا غنى عنها، والتي لا وجود لها، ولو قام أحدكم بطرح سؤال كيف؟ فأنا لا أستطيع الإجابة، ولكن أخبرتكم وحوشًا، ولكم أن ترسموا في مخيلاتكم الواسعة صورة لأكثر الوحوش فوضوية وشراسة على وجهه التاريخ.

ربما لن يفهمني أحدًا أو يشعر بالمنغصات المتجمعة في حلقي، وأنا أقص عليكم هذه الحكاية، وأنا أفشي لكم أسرارا مدفونة في أعماقي، تسببت بهذه الحالة التي أنا عليها.

كان أخي الأكبر يمتلك أقسى قلبا في هذا العالم، صارمًا وشديدًا، عيناه حادة وله شاربان، طويل القامة ذات جسد ضخم، كانت رؤيته تثير الرهبة في أنفس الرجال؛ يتمتع بمكانه عالية وسط غابة الوحوش هذه، ولا أخبئ أنه ملك لهذه الغابة المليئة بأشجار سامة.

لدى أخي مهمتان، تشويه النساء، وسرق أنوثتهن، أنه غريب الأطوار بشكل لا يوصف ومنافق وحقير من الدرجة الأولى، ولو يسمعني أو يقرأ هذه القصة وأنا أدعوه هكذا لن يفكر حتى دقيقة قبل قتلي، ولكن أعتقد أن الكبر قد أكل جسده والتجاعيد ملأت وجهه، وربما فارق الحياة.

أذكر كيف كان يتلاعب بالنساء؛ ليسرق منهن ما يريد متذرعًا بالحب وهو لا يحمل في جوفه سوى قذارة العالم أجمع.

إنّ كلماتي تنبثق مني بكل وعي، ولو أنها بقيت بداخلي؛ لَتَفَجَّرَتْ من ثقلها، ليتني أستطيع أن أجعل قلبي صفحة بيضاء غير ملوثة بدماء حبيبتي ودماء ابنتي وأختي التي قررت أن تذهب بعيدًا؛ حيث لا أخي الكبير يضربها ليلًا ولا زوجها الظالم يعتدي عليها نهارًا ولا أبي يلقي شتائمه باستمرار.

إنّ باقي إخوانِ كانوا أتباعًا لذلك الأسد، يفعلون ما يريد، يقتلون أنوثة النساء، ويستمتعون بالعصير المالح الذي يسيل من عيونهن.

كانت تلك العاطفة الثائرة في إخْوانِ تغريني مع أنني أعلم أنها أقرب للشهوة، ولا تقرب العاطفة بتاتًا، إلا أنها تَبُثّ في أعماقي شعور التجربة. ربما أحب ما يفعله إخوانِ أيضًا، والشعور الأجمل على الإطلاق أن تقدم على فعل شيء، وأنت تعلم لن يعارضك أحد أو يقف في دربك؛ بل يشجعك ويصفق لك بكلا اليدين.

شعرتُ أنني محروم جنسي رغم زوجتي التي تمتلك أجمل عينين عسليتين في القرية، تفيضان في البراءة والطيبة، ولكن لم أكتف بها، وأظن أن تمسكِ بزوجتي وبقائها في بيتي؛ ابنتي الصغيرة التي بقبلتها الحنونة، تخطف أحزاني، وتلئم جروحي.

كانت الروح تفيض في شغف تجربة جديدة، ومتعة مختلفة، أردت أن أمارس طقوسًا جديدة غير الزواج، أن أكون الحاكم على قطيع من العبيد، وأقصد بالعبيد مجموعات من النساء اللواتي يخضعن لي بحركة إصبع واحدة.

أردتُ نسج حكاية من نوع آخر لم يتذوقها أخي الكبير طيلة حياته، كنت مثل الأفعى أقرب النساء رُوَيْدًا رُوَيْدًا..التف حولهن برقة، وحب شديد، وحنية مفرطة تكاد تغرقهن، وفي الوقت الذي أراه مناسبا ألسع، وانثر سمومي في كل خلية بأجسادهن بعد أن أسلب منهن شرفهن الذي أراه مزيفًا، أو كما يقول أبي أي امرأة تستطيع أن تأخذ منها شرفها؛ فهي ليست شريفة ولم تكن شريفة؛ فهي مدعية من النوع الأول.

كان الخمر الصديق الأقرب لي أعاقره باستمرار، أتناوله كل يوم دون حساب، كنتُ لئيما ووضيعا تخترق عيناي الصغيرتان كل تفصيله في أجساد الجميلات، الشهوة تملأ صدري، والرغبة في إمتاع نفسي تزداد، وأصبحت الزائر اليومي للحانات.

ولكنني لم أدرِ كيف وقعت في الفخ، وبالنسبة لقوانين العائلة أن يقع رجل في فخ امرأة لا يريد منها سوى هذا الجسد الرقيق، هذا عار وأشبه بفضيحة فيل هزمته نملة.

لم يدر في خَلَدِي أنني سأفتن بها، وأقع في شباك حبها، ولكنها فتنة، وأكثر من ذلك أنها طاغية الأنوثة؛ يضطرب قلبي لرؤيتها، وأحلق في سماء الحب بضحكتها، كمْ وددت أن أسكن غمازاتها.

المرأة الوحيدة التي استطاعت سرقة قلبي، وترك شعور الحنين القاتل بداخلي رغم مئة امرأة توسلتني لأحبها، وأتزوجها بعد أن سلبت منهن شرفهن.

سألتُ بكل حماس كيف تعرفت عليها؟ قال والضحكة البرتقالية لا تفارقه، وكأنه يستعرض الموقف أمام عينيه...كانت تتمايل تحت قطرات المطر بفستانها الوردي، أنظر إليها وسعادة العالم كلها تجمعت في قلبي، كنت مخمورًا حينها وسكرات العشق وقعت على، عرضتُ عليها توصيلها للمنزل، ولكنها أشاحت وجهها الدائري قائلة: لا شكرًا لك، كان هذا اللقاء الأول الذي حمل بعده لقاءات لم تتوقف فأصبحنا لا غنى لنا عن أحدنا، لم تكن مثل غيرها، أنها رمز للحب والسعادة، ضحكتها رسالة سلام، قوامها ممشوق وخصرها منحوت، إنها لعنة الشتاء.

اقتربت منها لأسرق أنوثتها؛ لأشبع رغبتي الجائحة بكتلة الفتنة هذه، اصطنعت شكلاً جديدًا لي، واخترت اسما آخر، رسمتُ قصة وحبكتها بسلاسة؛ كي لا تشعر بأنني مخادع، ولكن لعنتها كانت أقوى من شهواتي الحيوانية، أسقطتها بغرابة دون أن أشعر، بدأت أهوى رؤيتها وأركض خلفها، سهام حبها أقوى من شغاف شهوتي، نام عقلي القذر ورحب قلبي للمرة الأولى بامرأة، وأنا رجل أبي الذي لا يهمه سوى لغة مدنسة عنوانها الجنس، ارتطمت بشعور الحب للمرة الأولى ولكنه لم يطل؛ أصبحت تائهًا بين إظهار الصلابة والعودة إلى شخصيتي الحقيقية وبين التمسك بالمحبوبة المثالية المتيم بها قلبي، كنتُ مجبرًا على دس حقيقتي في أرغفة الكتمان والغموض، وها هو قلبي يضخ دماء الندم والحسرة، بعنوان ماذا لو حاربتُ من أجلها؟

سقطت من عينيه دمعة,فأسرعت في سؤالي: ماذا حدث بعدها؟

تنفس بعمق والضيق ظاهر على ملامحه، قائلًا: لن أستطيع نسيان تلك الليلة السوداء التي تزورني كل يوم في أحلامي حينما خيرني أبي بينهم، وبينها، فاخترت أبي وزوجتي؛ لأقلل من آثار الفضيحة التي انتشرت بسرعة البرق.

والجميع يريدون معرفة اسم تلك الفتاة التي تجرأت على حبها، واستطاعت أن تضع لعنتها بداخلي، ولكن أخي الكبير استطاع طمسها، وأقسم بقتل من يتحدث بهذه القصة.

بعد يومين من تلك الليلة البغيضة أرسلت لي رسالة أنها تشتاق إلي، وأنها وحيدة لا أحد معها سوى قلبها الذبيح، وروحها المتألمة، ودموعها التي تتناثر على خديها.. أحببتها ولا أنكر أنني متيم بها، ولكنني رجل وليس أي رجل، أنا شريف، وهي عار فاقدة لأي ذرة شرف.

أقنعتُ عقلي بهذه الكلمات التي ألقاها والدي على مسامعي، وتجاهلت رسائلها، ولكنني أحبها. ولكن بدأت الحرب بين القلب، والمدارية، والضحية كانت هي.

جلست ثلاثة أيام في البيت لم تكن لي القدرة على مواجهة أحد، رمقني أبي قائلاً بصوت محمل بالسخرية: يا ضعيف، أحرقتني كلماته، وقررت أن لا أنظر خلفي؛ فالحب كذبة الزمان، والجبان من يسمح للزمان بالتلاعب به.

في اليوم الثالث من جلوسي في ذلك البيت المزين بالدنس، زارتنا أختي التي رق قلبي لرؤيتها، شعرتُ بالأسى، وأنا أنظر إلى وجهها الممتلئ بالكدمات، كانت فاترة الجفون، استقبلها أبي بطريقة شنيعة؛ كأنه يخبرها عودي إلى بيتك. لا أعلم لماذا لم أستطع تحمل كلمات أبي هذه؟ أسرعتُ في الذهاب إلى غرفتي، وأغلقت الباب، وضربت الأرض بقوة رغم أنني ابن أبي الذي كان لا يترك فرصة واحدة لإهانة شقيقته، ما الذي تغير؟

رميتُ هذه الأفكار وتناسيتُ بصعوبة بالغة تفاهة أبي، وقررت آخذا زوجتي، وطفلتي إلى الحديقة القريبة من هذه القرية الملعونة رغم أنني كنتُ ذات مِزَاج قاس ومتقلب، أردتُ أن أستنشق هواء جديد، أن أخرج من هذا البيت الذي يخنقني، وصلنا إلى ذلك المكان الذي زاد من لوعة القلب، ولحظات حتى هاجمني ذلك الشعور الذي أكرهه، شحب وجهي فجأة، نظرت لي زوجتي بطريقة غريبة، وما أن لاحظت جدية ملامحي وقسوتها أشاحت بوجهها عني.

هرعت لي ابنتي تقبلني بحب وسعادة تغمرها، قائلة: أبي هذا المكان جميل، بادلتها ضحكة خفيفة، وناولتها تفاحة خضراء متوسطة الحجم من سلة المأكولات التي أحضرتها زوجتي، وقبلت رأسها وذهبت.

فجأة سمعت رنين الهاتف، التقطه لا يوجد اسم، رقم غريب، قلت في قرار نفسي، سأجيب لم أنطق كلمة واحدة، وشهقاتها قطعت قلبي، ولم أنس جملتها التي أنهت بها المكالمة؛ ليحرمك الله من أي مصدر سعادة في حياتك، وأغلقت الهاتف في وجهي.

حدقت في الأفق من هول الصدمة، وتطايرت كل حروفي وكلماتي، قطع شرودي، صوت زوجتي تصرخ؛ أحسست بانقباض في صدري وخنقة، كانت ابنتي على الأرض تخرج أصواتاً غريبة أسرعت إليها أتأملها، تسمرت وأنا أراها هكذا شعرتُ بأنها ستغادرني.

استجمعت قوتي التي خارت، وصرخت في زوجتي الغارقة بدموعها، لم يكن عقلي يستوعب الموقف؛ فأسرعت في حملي ابنتي لأخذها إلى المستشفى، ولكنني لم أكن أسمع صوت تنفسها؛ بلعت ريقي بصعوبة بالغة، وشعرت بأن قدمي شُلت، لم أستطع إكمال السير، وضعت صغيرتي على الأرض، أحاول أن أقوم بالتنفس الاصطناعي ولكن من دون جدوى؛ انهمرت دموعي وتساقطت كينابيع الوجع، أخذت طفلتي وعانقتها يا إلهي! كيف حدث هذا؟

كنت ذليلًا ومحطمًا؛ وأنا أرى ابنتي تموت أمام عيني وليس بمقدوري فعل شيء.

شعرت بيد تدفعني عن ابنتي؛ رمقت زوجتي بمقت وكأنها المسؤولة عن موت ابنتي. ولكنها بدأت تصرخ قائلة: ابتعد عنها، أنت قاتل أنت قاتل، واستمرت تطلق صرخات لا متناهية؛ والجميع يرمقني بتلك النظرات القاسية.

حاولت أن أستجمع قوتي مرة أخرى، وتحدثت مع زوجتي بكل حزم؛ كي لا أشوه صورتي أمام الجميع...يا إلهي! كم أنني شخص حقير. ابنتي فاضت روحها إلى بارئها أمامي وأنا لا أهتم سوى بمظهري أمام الملأ...

ذهبنا إلى المستشفى بسيارة الإسعاف المجهزة بجميع الأجهزة، حاولوا إنعاش قلبها ولكن دون نتيجة. استيقظتُ على صوت الطبيب يقول: فقدنا المريض

ربتت أمي وأختي على ظهري، وصوت زوجتي تصرخ، قائلة: لم تمت، ما زال كل يوم يأتيني في أحلامي.. بالنسبة لأبي، وإخْوانِ سألت أمي مكررًا، لماذا لم يأتوا؟ ولكنها بلعت الإجابة وفهمتُ بدوري أنا.

أخبرنا الطبيب أن سبب الوفاة غير معروف، وبعد أسبوعين من فقدان صغيرتي، هجرتني زوجتي ولم تسامحني، قبل أن تغادر بعثرتني بكلمات حادة قائلة: لعنك الله يا خالد. بقيتُ فترة طويلة جِدًّا لا أخرج من غرفتي؛ أتذكر ابنتي، والألم ينخر جسدي.

فجأة رن هاتفي، رقما غريبا! أمسكتُ هاتفي مجيبًا، ألو ، ولكنني لم أسمع أي صوت، كنتُ أعلم أنها هي، تنهدتُ، وقلتُ بعصبية سأغلق السماعة، ومع ذلك لم تجب، وقمت بإنهاء المكالمة.

وبعد دقيقتين اهتز هاتفي برسالة صغيرة جِدًّا مضمونها"نبض قلبي، حزنتُ كثيرا على فقدانك لصغيرتك، ولكنك ستفقد قطعة أخرى من روحك، أريد تحريرها؛ لكي لا تعيش في مذلة وإهانة؛ وأن تكون نتيجة علاقة غير شرعية، بطلها أناني مثلك، إلى اللقاء, التي تحبك للأبد".

وما أن هممت بسؤال آخر احمر وجهه، وبدأ يتنفس بصعوبة بالغة غير قادر على التحكم بعمليات الشهيق والزفير، تشنجت عضلاته، وسقط على الأرض، بدأ الأمر كأنه أصيب بجلطة قلبية،ومات قبل وصول الإسعاف.

ضياء الخطيب/ الأردن

خريفي الخالد

يقولون الأخ سند ويا له من سند، مثل رواسي الأرض لا تميل ولا تتصدع، في إحدى الديار بها أربعة شباب ينتظرون مكالمة أبيهم؛ ليخبرهم بجنس المولود الّذي أتى إلى عائتهم الصغيرة.

بجانب المدفأة الكل على أعصابهم، يتأكدون أن سماعة الهاتف في مكانها ولا يوجد بها خلل، كثرت الرهانات وكان الرهان السائد أن الضيف الصغير سيكون فتاة، الكل نائم بعد طول الانتظار، صوت الرعد يعلو في الخارج، والهاتف يرن، ويرن قبل آخر رنة، يجيب الابن البكر: ماذا هناك يا أبي، لم طالت الأخبار؟

يتكلم الأب ويقول: أمكم وأخيكم بصحة وعافية.

فيقول: حمدًا لله على سلامتهم.

لكن جائني صداع أخر، كنت أتمنى أن يكون مهدئات رقيقة بطبعها، حنونة لا تقبل لدموعي بالانهمار، فيقهقه الأب عالياً، ويقول:أمنتيك تحققت، أستعد لمسؤولية تربيتها، ما إن سمع الخبر, بدأ بالقفز هنا وهناك كأن الكون لا يسع فرحته، سمع بقية الإخوة الصراخ، بادروا بالاسئلة، فأجابهم والفرحة تغمر قلبه أنها فتاة فبراير، زهرة البيت، مدللتنا الوحيدة ، ارتفع هتاف الاخوة كأنهم توجوا بالكأس العالمية، استقبلوا الفتاة استقبالًا حار، ترعرعت بين الأحضان الدافئة ما إن تبادر بالبكاء، يهرول إخوتها لإسكاتها بأيّ طريقةٍ كانت، يتسابقون للهو معها حتى وضعوا رزنامة الحمل الصغيرة التي كانت تأتي بتبادل الأدوار كل خمس دقائق، الأم والأب فرحان بأبنائهم، وحفاظهم على أختهم الصغرى ، خرج والداهم خارج الديار، فشددوا على الشباب مسؤولية أختهم، الكل اِنصاع للأوامر، مرت ثلاث أسابيع ولا أخبار من الأم والأب رغم إحاطة الإخوة بالفتاة إلّا أنها لا تزال بحاجة لأمها وأبيها، علا صوت نحيبها، نفذت الحلول والطرق السخيفة لإسكاتها لكن عملوا كل ما في وسعهم؛ لمسح دموع صغيرتهم، يخافون عليها من نسمة الرياح، هل يسمحون للدموع أن تشق طرقاً في وجهها البشوش؟

طبعا لا ... طريق مروع على باب المنزل إنهم العم والعمة بوجوهم التي لاتفسر إلا شيئاً واحدًا، إنهم أصبحوا أبناء أيتام، وآباء لبنت يتيمة، البقاء في حياتكم، وقعت هذه العبارة على مسامع الأبناء كصاعقة!

فلم يسمحوا لأنفسهم بالضعف، والبكاء، متذكرين وصية أبويهما، اختبأت البنت كأنها هريرة، تراقب انفعالات عمها وعمتها وتهديداتهما لإخوتها بأنهم مجبرون على تسليمهم البنت، لا يمكنهم رعايتها، ولا يمكنهم تلبية حاجياتهم، كيف بحاجياتها؛

ليفقد الأكبر صوابه؟ ويقول: إنها مسؤوليتنا أمانة وضعت في رقابنا، لن نسمح لكم بحرماننا منها ولو كلفتنا مسؤوليتها حياتنا، فنحن لا شيء بدونها.

كبرت البنت شيئا..فشيئا، وكبرت كذلك مسؤوليتها، همّ الأخ الكبير بتلبية نداء واجب الوطن؛ ليتركها أمانة عند بقية الاخوة، يصل لنصف الطريق، ويعود لا يقوى على فراق حبيبته الصغيرة، غفت في حضنه من شدة البكاء، قبلها قبلة كبيرة بمحبة الأخ، والأب، والأم جميعا، فتفتح عينها، وتقول له: عدني أنك لن تذهب مثل والديّ دون رجعة، يربت على شعرها، ويقول: أعدك صغيرتي، لكن أنتِ أيضا عديني أنك أول من سيلقاني عند رجعتي، فتهز رأسها بالإيجاب؛ لتسبقها دموعها، وتقع في حضنه، وتحصل على أحن، وأقوى، وآخر عناق منه.

شاعت الأخبار في المدينة أن كل من ذهبوا لإتمام الخدمة العسكرية في ذلك الحين بلغتهم المنية، ولم يعثروا على جثهم بعد، سمعوا الإخوة ولم يسمحوا لها بالتجول؛ خوفاً عليها أن تسمع تلك الأخبار المشؤومة، جاءت الليلة البومة، وسمعت نداء صلاة الغائب عن أبطال المدينة، فينطق المنادي باسم اخيها؛ لتدخل في متاهة دموعها وعدم تصديقها لما سمعت أذناه، فهرولت مسرعة إلى مسجد المدينة؛ لتصرخ أخي ليس خائناً، لن ينكث بوعوده لي، لن يتركني، كيف له أن يضعني على رصيف الانتظار؟ ويذهب؛ لتصرخ صرخة قوية اهتزت مسامع السكان لها.

ذبلت الزهرة مجددًا وحل الخريف على حياتها مرة أخرى، للمرة الثانية شعور اليتم والوحدة يخيم على الفتاة المسكينة، لم تعد على سجيتها، الفتاة المشاكسة التي يشتكي الجيران لأخيها، فتختبئ وراء ظهرهم، وتمد لهم لسانها بمحط السخرية، متأكدة إنه لن يعاتبها، الاجتماعية، الضاحكة، المحبوبة لدى الجميع أصبحت انطوائية، شاحبة الوجه، شاردة الذهن بالكاد تتكلم مع إخوتها وإن تكلمت كان مفاد كلامها عن أخيها، المرحوم ..احتار إخوتها من حالها، لم يعهدوها هكذا سابقا، لم يبق لهم حل إلا آخر تشغيل، آخر كلام لاخيهم :"زهرتي، حبيتي، نور عيني، وذكرى أمي وأبي".

اليوم استقيظت والفرحة تغمرني، رأيتك في المنام بعباءة التخرج والشهادة التي أهديتها لنا نحن الأربعة لا تفارقني، اليوم آخر مهمة لي في الحدود، من اليوم فصاعدا أنا معك خطوة بخطوة؛ حتى يتحقق حلمي لكن لا يعلم الغيب إلا الله، إن غادرتني روحي بدون إذن لا تتغيري، ابقِ كما عرفتك دائما, لا تشاغبي، ولا

تغضبي إخوتك، فبقدر شقاوتك هم اشقياء، إن عدت اليوم، سأنقل لك أنا الكلام بدل التسجيل، وإن غادرت؛ للقائنا، سبيل وصولك التسجيل بطريقة ما، أتمنى من صميم قلبي أن تحققي حلمي، مهما كان.. ومهما يكن هذا الأخ الشّقيق يحبك يا أجمل الاشياء الجميلة، اغرورقت عيناها؛ لتلفت لأخيها هذا، أخي حبيبي، لماذا خبأتم عني آخر ذكرى منه؟ إنها من حقي أنا، كيف سمحتم لأنفسكم بذلك؟

تتكلم بصوت متقطع وشهيق مزق قلوبهم، حازت على عناق الخوف؛ ليطمئنوها أنهم لن يتركوها أبدًا، وهذا وعد حق بينهم، الكل يقول: أنها أصبحت عالة على إخوتها، لابد لها من الزواج؛ حتى يزاح عبئها عن عاتق إخوتها، لكن دائما مكان إخوتها بالمرصاد والدرع الحامي لها بكلامهم "محبوبتنا"، لن تتزوج، وتتركنا، من يتعبنا بالشقاوة؟ كما أننا لن نقوى على رؤية غيرنا؟ يذيق مرار معاشترها، لقد رأينا واكتفينا، نحن أصحاب ضمائر حية، فيقهقهوا معاً؛ لتضم ذراعيها تعبيرًا عن غضبهم، فيضموها هم الآخرين؛ تعبيرا عن امتنانهم؛ لكونها أختهم وسبيل فرحتهم، إنه ليوم سعيد للفتاة, كبرت وأنهت دراستها، الكل ينتظر بداية حفل التخرج إلا أنها مصرة على حضور سندها وكونهم جزء من فرحتها التي لم تكتمل ولن تعرف مجددا سبيلا لقلبها في حين تجهيزها للحفل، استعد الإخوة للذهاب؛ لمشاركتهم قرّة أعينهم فرحتها، لقد تأخرنا أسرع، أسرع اليوم لن يكون لنا سلام من غضبها، المكابح تعطلت، وبسمة الفرح اختفت، ليتهم تغاضوا عن غضبها ولم يتغاضوا عن حاجتها لهم ...

اليوم تمر سبعون سنة على تفتح تلك الزهرة لكنها ذبلت، لم يحل الربيع على حياتها، بقيت بلباس الخريف بلون عباءة التخرج التي تلطخت بدماء أعزائها الذين فقدتهم في ذلك اليوم، لقد بقيت بدون سند، أفنت نصف عمرها بين قبور إخوتها, لا قلب مجبور، ولا عقل باقٍ بعد رحيلهم.

"إنما الأخ لأخيه ظِل وسكينةٌ وسند". كيف لا يكون كذلك! ورب الكون قال: “سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ”.

فتيحة بن زخروفة /الجزائر.

اغتيال, موت, انتحار, وحب

قصة منسوجةٌ من ترانيم خيال كاتب مبتدئ لا تمت للواقع بأيّ صلة، يحاول خوض تجربته بنسج خيوطٍ عملها؛ عساه ناجح في مجال القصص، حيث يبدأ قصته بفتاة ذات قوام ممشوق، تمتلك عينين بنيتين تشبهان عين ريم الغزال، بيضاء مستديرة الوجه، تقطن في العامرية إحدى أحياء مصر ذات الإحدى وعشرين عاماً، تعمل في مجال الصحافة والإعلام، وفي أحد ليالي ديسمبر الهادئة الماطرة حيث يعم السكون المكان إذ بريما تخرج مسرعة والفرحة تشرق على وجهها، فهي أخيراً بعد معاناة عدة من جميع أطراف العائلة؛ لأخذ الموافقة على عقد حبهما تكليلا بختام الزواج؛ ليظهر البهجة للعائلتين بعد الظروف القاسية التي تضرروا منها، فهي ستلتقي حسام معشوقها الآبدي ذو الحب العتيق، وتمتلك ريما وحسام علاقة قديمة من طرف والدها كانت تلك العلاقة في البداية اللقاء قائمة على المشاعر الممتزجة بالكره والحب معاً، فقد كانت تمقته كثيرا؛ بعد موقفه البغيض اتجاهها، ولكن شاءت الأقدار وتبدلت لتقع بالغرام دون وعيٍ منها على خلاف حسام الذي كان منذ المرحبا الأولى من مقبلتها مملوءة بالهيام وما بعد الهيام؛ لتكبر باعتراف ريما بتبادل نفس الشعور، فحسام شابٌ طويلُ القامة ذو ملامح سمراء داكنةٍ، تقترب؛ لتكاد تكون سوداء مع عينان قاتمتين غمقاوتين سوداء أيضاً، تعكسان حزن والضغوطات الصعبة التي مر بها، بلغ عقده السادس والعشرين منذ يومين، احتفلت به ريما وكأنها تحتفل بتولدها مجددا، يسكن في القاهرة عاصمة مصر، وكان حسام نادراً؛ ليمتلك فرصة القدوم للعامرية بإجازات لأيام يقضي نصفها؛ من أجل العمل، والنصف الآخر في حل المشاكل التي تعترض كلا الطرفين سواء من اتجاه رفض العائلة، ومحاولة المتكررة؛ لإقناعهما، أو من أقاربها الرافضين بتاتا فكرة ارتباط ريما بشاب من غير ديانتها، ومن طرف ابن عمها المغروم بها، المستعد لقتلها إن وجب الأمر، ويعمل حسام مديراً في شركة للدعاية والتسويق ومن قريب انتهت مشاكله في العامرية مع أنسباء وعائلة ريما؛ ليبدأ حوار ذو حديث قصير بنهاية مروعة...

ريما: اشتقت لك، و يا أهلا بغزال قلبي بعد صفاء المشقة التي عانينا منها؛لتصمت قليلا بتنهد وكأن قلبها يشعر بحدوث شيء مريع يقترب؛ لتتابع أدعو الله أن يحفظك لي مدى الحياة والآخرة.

حسام: عزيزة روحي، وأخيرا التقيت بعيناك الروحيتين لروحي، وأنا أيضا أفتقدك جدا.

ريما: ماذا وإن صادف وغادرتني؟

حسام: أغادرك! عزيزة روحي لن أغادرك، وحتى إن رحلت الروح مفارقة لجسدي فسأظل رفقة لك كلعنة، أممم، أو لأقل لك: سأبقى كروحك عالقة بك لموتك.

ريما: أحمق، اصمت، لاّ تتفوه بالترهات؛

فلم نرتح قليلا من بعد العناء.

حسام: بضحكة هادئة على انفعالها...رغم أنه أمر لاّ بد منه في النهاية لكن أدعو أن أبقى مطولا بجانبك، وسأصمت الآن عساها بداية جديدة لقصتنا؛ لتكلل بالزواج.

ريما: بخجل مع أحمرار طفيف...آمين

-لعلك تبقى للنهاية

حسنا الآن سأعود للمنزل.

وعانقا أحدهما الآخر وكأن شعور الفراق قد اختلط في نفس وجسد واحد، ولم تطأ قدم ريما داخلة المنزل حتى سمعت بشاحنة تدهس حبيبها القمري؛ لتأخذه بعيدا عن قربه الشديد لها ومن هول الصدمة وقفت ريما؛ لتنظر ما حل، لكن لم تستوعب سوى منظر حسام المدمي الملقى على الأرض المعلن لاستسلام روحه، وبطرف عينها الآخرى لمحت سائق الشاحنة، كان ابن عمها والحقد المصبوب بضحكة انتصار تملكت وجهه؛ لتعلن عزاء قلبها المشروم...

بعد شهر من فراقه... تمسك ريما صورته محدثة: أنظر جيداً إلي يا غزال قلبي، أين تلك العينان؟ فأنا لم أعد أملك صبرا بدونك، وها ابن عمي أقيم الحد عليه، وتوج أعداما كما أعدم روحي، يبدو يجب علي بتتويج نهاية قصتنا بقتلي أيضا، أعتذر منك؛ لأن مصيري سيكون النار بخلافك لكن لا بأس لعلى روحي تلتقي بروحك ثواني، فأنا معذبة بكلتا الدنيتين (الدنيا والآخرة)، الوداع يا من كنت تدعوني بعزيزة روحك، فلم تبقى روحك، ويجب أن لا تبقى العزيزة أيضا، أمسكت السكينة ووضعتها على قلبه، وطعنته دون شفقة؛ انتقاما لحبهما المشروط بعد اكتماله، في النهاية غفت ريما وغفى حسام، وغفت قصة حبهما المروية للأجيال، وفعلا من الحب ما قتل.

شهد شاتي/سوريا.

ما هو ذنبي

لم أقم باختيار شكلي الذي يزعجكم أو يثير القرف في أمعائكم كلما نظرتم لي، تحاولون إلقائي في الجب بقذارة أفعالكم وسموم كلامكم، أشفق على أفكاركم الشائكة المدجنة في رؤوسكم التي تنمو وتنتشر بسرعة هائلة، أصاب بدهشة تكاد تقفز عيناي منها؛ عندما أرى أناس يتسابقون؛ لتقديم وجبات متتالية من الإهانة لي، أحاول أن اخترق تلك المسافة الشحيحة بيني وبينهم؛ لأتمكن من فهم تلك المعتقدات الزائفة الساكنة عقولهم ولكن في اللحظة الأخيرة أتراجع.

ليت لي القدرة على إسكات أفواههم الحارقة، أو أن أطعن قلوبهم التي تنبعث منها الروائح العفنة، كم وددت إخبار زوجة أبي أنني بريئة من قباحة وجهي ، وأن هذا الأمر لا يشبهه بتاتاً اختيار تخصصي الجامعيّ، أو الذهاب إلى حديقة بيلا القريبة من منزلنا.

أنا فتاة تذوقت مرارة الأيام ولكنني ابتلعتها بسلاسة، تجرعت الإهانات المتكررة، أحاول أن أسير واثقة الخطوة غير مستسلمة لناعقات الطريق، أحاول إخفاء غيمات من الدموع؛ التي لو تساقطت لأحرقتني، أصم أذني؛ لكي لا أسمعهم ولكن يخترق صوتهم روحي؛ حتى أقع في فخ الشعور المرير، يستمرون في اللحاق بي مثل كلاب هائجة صوت لهاثهم ونباحهم لا يتوقف، وأستمر أنا بالهروب منهم؛ حتى أصل إلى مكان دامس الظلام/معتم لست قادرة على الخروج منه، ربما هذا المكان هو الخلاص الأبدي.

جامعة اليرموك التي تحتضن آلاف الطلاب في السنة الواحدة رحبت بي، وفتحت لي ذراعها؛ لتعانقني، فاستجبتُ لها حباً، عندما تناديك جامعة عريقة مثلها لا تستطيع الرفض، سيكون من الغباء أن تتداعى الكبر والغطرسة، وأن تأتي بأعذار وهمية وترفض عناقها ..

وأنا قبلتُ دعوتها وندائها الذي اعتمر قلبي، فدخلتها، وها هي حفلة التخرج تدق طبولها.

درست في كلية العلوم أو ما يطلق عليها البعض (المقبرة). وها أنا أودع جامعتي كأنني أودع صديقةً عزيزة على قلبي..فقدتُ والدتي مذ كان عمري عشر سنوات وتأثرت جدا بتلك الحادثة، توفيت والدتي أثناء عمليه قيصرية خطيرة، وشاء الله أخذها مني، فرضيت بقضائه وقدره، حزنت بشدة، حتى اليوم ما زلتُ أشتاق لأمي، حبيبتي رحمها الله واسكنها جناته.

كم أردت أن أستسلم للحياة الظالمة الموحشة ولكن كلام والدتي المخزن في ذاكرتي يبث طاقة في روحي تجعلني أقاوم رغم كل شيء رغم زوجة أبي التي لا تتوقف عن بحر الإهانات والذُّل الَّذي تقدمهما لي كلما خرجت أو أتيت إلى بيتي، وأبي الذي لا يهتم بي مطلقاً وكأنه قام بدفني مع والدتي ولكنني أقاوم رغم ذلك.

انتظرتُ والدي كثيراً ولكنه لم يأتِ إلى حفل تخرجي، ومع أنني أعلم ذلك جيداً إلا أنني انتظرت.

أمي حبيبتي تمنيت لو كنتِ اليوم موجودة في حفل تخرجي، جميع الأمهات حضرن الحفل، احترق قلبي وأنا أنظر إليهن يقبلنْ أبنائهن ويعانقنهن بالعطف والحب، أشعر بالنقص بدون وجودك يا أمي، فزوجة أبي رفضت الحضور؛ لأن تخرجي بالنسبة لها أمرٌ غير مهم ومناسبة تافهة ومضيعة لوقتها الثمين، والذي زاد من حزني وآلمي يا أمي أنَّ والدي قد وافقها الرأي ولم يحضر هو أيضاً.

كنت وحيدة، وبؤرة الألم تشق طريقها إلى قلبي وأنسل شعور السعادة الذي كان يسامرني، وطائرا القلق والحزن يرفرفان في فؤادي...أأستحق هذا كله يا أمي؟

قبل أن أغادر البيت أخبرتني زوجة أبي، قائلةً: أنت قبيحة جدًا بتلك النبرة المحملة برائحة السخرية لا تضعي مساحيق التجميل؛ لن تزيد من قُبحك إلا قباحة أكبر؛ لذلك لا داعي أن تتبرجي.

لم أبكِ يا أمي عندما قالت لي هكذا ، أنا قوية ولكن في بعض الأحيان تخونني عينيّ، فتنساب دموعي المالحة.

ابنتك المحبة .

زوجة أبي تحاول أن تجعلني خادمة لها، تثير الضجة في المطبخ ولا تكف عن ذلك فقط، فهي تجعلني أنظف البيت بأكمله ولا تفارقني عيناها المرعبة، ينخلع قلبي؛ كلما رأيتها تنظر لي هكذا, إنها تفتعل مشاكل بيني وبين أبي، تتهمني أنني ضربت ابنتها أو حاولتُ أذيتها، لا أعرف! لماذا تفعل بي هذا؟ وما المتعة من تعذيب فتاة يتيمة الأم..

ما يزيد من حرقة قلبي, أن أبي يراني عدوة له، ولعائلته التي لا أنتمي إليها..ما كان يسألني يوماً عن حالي، أو يقبلني ويمازحني، كل ما يفعله التوبيخ والضرب،

دائماً يخبرني أنني لا أفهم إلا لغة واحدة، وإذا هممت بالتوضيح يبدأ بتلك اللغة التي تصيبني بالهذيان، لم أكن أريد شيئا يا أبي إلا حبك، لغة الحب هي اللغة التي تنقصني، ليتك تغمرني بهذه اللغة التي تتعامل بها مع زوجتك وابنة تلك المرأة .

أن تعيش في بيت لا يعترف بقيمتك، يريدونك أن تتراقص على لحن ترهاتهم، في البداية ستظن أنك مخطئ، وأنك تتوهم؛ حتى تتضح الرؤية، ويزال الغبار عن عيونك،ها هي بحور الحجج التي وضعتها لهم باتت تعاقبني ، والحب الذي قدمته وأنا أشعر بتعاسة العالم أجمع أصبح داء يحادثني كل يوم ويشمت بي قائلاً: أنتِ السبب.

كيف شعوركم في بيت تقدمون فيه كل ذرات الحب التي زرعها الله في فؤادكم، وفي النهاية لا تلقون سوى الجحدان والكره..هكذا كنت أنا مقابل الحب, كنت أقابل بالكره الشدي.. ظننتُ أن الحب لعنة أو لعل وجهي القبيح جعل من حبي لعنة كما قالت لي زوجة أبي,يا تُرى هل زوجة أبي محقة؟

أتعلمون لمن سوف أوجهه هذا السؤال؟ لأمي التي أخبرتني أنني جميلة جداً، لروحي، اشتقت لرائحتك التي اشتمها من رسائلي إليك، أعلم أنني لم أكتب إليك منذ فترة ولكنني غارقة في الأعمال المنزلية اللامتناهية بفضل زوجة أبي ، إنها امرأة سيئة للغاية تريد حرق روحي، تستمتع باهانتي تفعل ما بوسعها؛ لتشعل نيران الغيرة في قلبي؛ لأقوم بعمل ما؛ ليعاقبني والدي المخدوع بحنيتها المزيفة، هذا الروتين اليومي يقتلني، لا أصدق! متى أنتهي من دورة كآبةٍ حتى تأتي الأخرى؛ لتدمرني، وتضعف جسدي ، وتعمل على تأكل بذرة الأمل المتبقية في فؤادي.

ليتك بجانبي تواسيني، تداعبي شعري ووجهي الذي لم يلمسه أحد. أحاول أن اتخلص من جميع الأفكار التي تلوث ذاتي وتسرق مني قوتي، ولكنني أفشل في ذلك يا أمي، ولكن يا قرة عيني، هل أنا قبيحة كم تردد زوجة أبي دائماً؟

النوم ينتشلني كأنه أحبني، أصغي إلى إيقاع النبضات المتسارعة في قلبي، لا يعلمون ما في خُلدي، فقط يلومونني على قباحة وجهي، رصاصة وراء أخرى تشق صدري، وما ذنبي بحياة أنكرتني، وأناس تنفي وجودي وتهدم آمالي؟ أسمع نشيجاً!

نظرتُ فإذا هي روحي تفور وتغلي، أختبأ خلف قلبي فاسمع سيمفونيه حزينة، وحفلة من المواجع ترمقني بنظرة غادري، أرجوكم، أخبروني:ما هو ذنبي؟

زوجة أبي تخطط أن تزوجني من عجوز تجاوز الخمسين من عمره؛ حتى تتخلص من العبء التي تحمله على أكتافها، كم وددت قتل هذه المرأة اللعينة والتخلص منها..

توسلتُ أبي؛ كي لا يخضع لقرارتها التي تنتهي بهاحياتي ولكنه كان يساندها بكل قرار، يقلل مني قائلاً: يا قبيحة تزوجي هذا الرجل، وإن لم تفعلي لن يتزوجك أحدٌ أبدا..

أبي يقول لي هكذا!

إنني أحترق، رائحة الرماد المدفونة بداخلي لا تنتشر، ولا أحد يشتمها غيري... يا إلهي، ماذا أفعل؟

تمردت وحاولت الهروب من منزل تسكنه أرواح عفنة، لكنهم استطاعوا الإمساك بي، عاقبني أبي بشدة لدرجة أنني لن أتمرد مرّة أخرى وأفعل شيء كهذا..

كانت زوجة أبي تعاقبني بشكل يومي وخاصة عندما رفضت ذلك العجوز أن يلمس يدي، أو أن يقترب مني.

أذكر جيداً كيف كان يصرخ على الهاتف قائلاً: وافقتُ أن أتزوج تلك الفتاة رغم أنها قبيحة، ولكنني أردت الاستمتاع بجسدها فقط وتلك الغبية ترفض أن أقترب منها، وتهرب كلما حاولت لمسها، إذا لم تجعليها تفهم أنتِ مضطرة لإعادة كل ما سلبتيه من جيبي، كانت زوجة أبي اللعينة تهدأ من روعه بقولها: اطمئن، أعدك أن كل شيءٍ سيكون على ما يرام وكما تريد ..

ومنذ ذلك اليوم وزوجة أبي تعاقبني، وكنت أردد على مسامعها: لن أسمح لذلك الرجل القذر أن يلمسني.

يحمر وجهها من الغضب، تنهال علي بالضرب المبرح تاركة علامات حمراء وزرقاء على جسدي؛ ولأنني قاومتها وبقيت أرفض أن يقترب مني ذلك العجوز، بدأت تجبرني على تناول المهدئات، ليست فقط فتاةً وحيدة يتيمة الأم، ويتيمة الأب أيضاً. ماذا تفعل ؟ أتخضع لزوجة أبيها وأنا فعلت هكذا؟

أتى موعد الزفاف، بالنسبة لي موعد إدخالي إلى كهف مظلم لا شيء به إلا افاعٍ سامة، تم الحفل كما أرادته تلك اللعينة، والآن أنا وذلك العجوز في غرفة واحدة، نظر إلي باشمئزاز وقام بتحطيم كل شيء موجود أمامه لربما لو كنت زجاج أو شيئاً آخر من النثريات لحطمني مثلهم أيضاً، لحظات قليلة حتى بدأ بشتم زوجة أبي بكلام

قذر وقبيح..أمسك يدي بقوة حتى خُيل لي أنني سمعتُ صوت عظامي تتحطم زوجة أبيك خدعتني، قبيحة وبجسم ممتلئ بالخدوش والجروح،أقسم أنني سأقتل تلك الحقيرة. ما هو ذنبي أن استيقظ على كلمة قبيحة؟ بربكم! هل هذه الكلمة مكتوبة على جبيني؟

توقفوا! لا تنادوني هكذا!

لم أعد أحتمل،

أتلوى من الألم ،

ليتني أفارق الحياة!

هلوست بهذه الكلمات من بين شهقاتي ولكنه لم يأبه بتاتا، كان يجر بي إلى بيتي كأنه يسحب كلبا وفيا لهُ، فتح الباب بقوة وأطلق صرخة حادة، أحسست أن أنفاسي توقفت حينها، ارتميت عند قدميه وهو يشير بيديه إلى زوجة أبي قائلاً: أنتِ مخادعة، خذي ابنة زوجك هذه حيثُ لا يمكنني أن احتملها لحظة واحدة، أو أرى هذا الوجه القبيح والجسد أيضاً.

كانت كلماته مثل الأسيد تشوهني وتحرقني ولكن عيني هي من تنطق فقط.

شل جسدي عن الحركة،تركني وغادر مسرعاً، هجمت زوجة أبي علي كما يهجم الأسد على فريسته، وتركت أثر يديها على كل طرف من جسدي، وأمسكت بي كأنها تمسك ذبابة قتلتها وتريد التخلص منها.

بقيت تجر بي حتى وصلت غرفتي، ورمتني بقوة حتى كاد رأسي يصطدم بطرف السرير، أغلقت الباب بقوة و إحكام وأبي يراقب بصمت .

لا أحد يريدني يا أمي، زوجة أبي تراني لعنة أحلت على بيتها، تاجرت بي؛ عندما زوجتني لرجل بعمر أبي، وزوجي أصابه الذعر؛ عندما رأى جسدي الذي يشتهيه، زالت تلك الشهوة؛ عندما رأى الكدمات على جسدي.

أبي لم يعد أبي!

لقد مات في اليوم الذي مت فيه يا حبيبتي، أشعر بأن نهايتي اقتربت، ربما أتى اليوم الذي سنجتمع به، أرجو ذلك يا أمي.

كل يوم زوجة أبي تأتي لي بقطعة خبز وفي بعض الأحيان القليل من الجبنة وتسقط على مسامعي وابل من الكلمات اللئيمة، ولا تذهب حتى تتأكد من ابتلاعي لتلك

المهدئات ولكن هذه المرة زادت الجرعة، تركتني مع وحدتي وخوفي ونهايتي التي تقترب، أغمضتُ عيني وقلتُ: تصبحين على خير يا أمي.

ضياء الخطيب/ الأردن.

الرسالة الأخيرة

قامت من فراشها بعد أربع ساعات حاولت فيهم النوم ولم تستطع، كانت الذكريات تتجلى أمامها، شريط حياتها يُعرض أمام عينيها بسرعة، تتصارع الأفكار داخل رأسها، يكاد عقلها يحترق.

مدت يدها المرتعشة وأمسكت كوب الماء وارتشفت منه القليل ثم تركته في موضعه، نظرت إلى علبة الدواء المهدئ لموجودة جانب الكوب وابتلعت ريقها ثم تنهدت وهي تبتعد؛ وكأنها تحاول إبعاد فكرة الانتحار باستخدام أقراص المهدئ عن رأسها.

كانت تسير مترنحة وكأنها مخمورة، وقفت أمام مرآتها تطالع عينيها الغائرتين، حاولت الابتسام فلم تستطع، تحسست خصلات شعرها بتحسر، فقدت معظمه في الفترة الأخيرة... جلست على كرسي المكتب، أمامها دفترها تطالعه بعينين نصف مفتوحتين من أثر الإرهاق، أمسكت قلمها بيدٍ مرتعشة وبحروف مائلة غير متزنة، كتبت:

"هذه رسالتي الأخيرة لك، يؤسفني أن أُخبرك أن الاختيارات جميعها قد نفذت.. لقد سئمت كوني غير مرئية بالنسبة لك، لم تشعر قط بوجودي باحتياجي لك. لم يهلكني مرض ولكن أهلكتني وحدتي، ضاقت الأرض علي بما رحبت، وتحطمت آخر ذرة أمل لي عندما أرخيت يدك عني.

لقد قتلني أملي بِك حاجتي لوجودك، الآن بعد فوات الأوان أدركت أنني يتيمة وإن كنت أنت على قيد الحياة يا أبي.

كان ينقصني الأمان، ينقصني الاهتمام، كنت أظن أنني محاربة قوية لا تحتاج وجود أحد ولكنني الآن أعترف لك وبكل أسف، لقد خسرت معركتي أمام نفسي.

مللت كل شيء، الانتظار، الوقوف بمفردي، لقد مللت الخوف من الموت، ها أنا أقف في انتظاره الآن.

يحاول طبيبي يَوْمِيًّا بث الطمأنينة في نفسي ولكنني أعلم أنه وإن شُفي جسدي فجرح روحي أعمق من أن يندمل، وآفة نفسي أعقد من أن تتعافى.

لقد تعبت يداي من طرق بابك وثَقُل على قلبي ثقلي عليك، أنا الآن أُعفيك مني تماما، أعدك أن لا أعود لطرق بابك ثانية، أُعفيك من غضبي عليك ومن لومي لك."

قامت من مكانها، بدلت ملابسها وطالعت نفسها في المرآة؛ ساخرةً لاهتمامها بهندامها رغم بعثرة روحها وأفكارها... قطعت الورقة من الدفتر وأمسكت بها ثم خرجت من منزلها تسير بلا تحديد وجهة حتى وجدت نفسها أمام الشاطئ، خلعت حذاءها ووقفت على الرمال اَلبَلِيْلَة، ملأت رئتيها برائحة البحر، كمْ كانت تخشى الوقوف أمامه، ولكنها الآن لا تبالي حتى لخوفها.

وقفت تعد خيباتها المتتالية، خذلانها المتكرر، تنظر إلى آثار الجروح على يديها، تعلم أن جسدها قد امتلأ بمثلها، تُرى أيهما أعمق... جروح روحها أم جروح جسدها؟ استمعت لصوت تحطيم قلبها بهدوء بالغ؛ بعد أن أيقنت أنها أصبحت عبئًا على أقرب المقربين...

تشتم رائحة الحريق الذي أوشك أن ينخمد ليترك لها رماد روحها وقلبها تنثره الرياح لتبقى خاوية...

لقد اعتادت الانتكاس الدائم، اعتادت ذلك الألم، نظرت إلى الرسالة التي تقبض عليها بيدها وضحكت بصوت مرتفع، ثم صرخت صرخة مزقت ما تبقى منها.

خارت قواها؛ فجلست على الأرض تبكي متسائلة: لِم لَم تجف دموعها بعد؟

تذكرت موتتها الأولى حينما تُركت تعاني وحدها ألمها ومرضها، موتتها الثانية حين تخلى عنها والدها، وموتتها الثالثة حين ابتعدت عنها صديقتها المقربة، موتتها الرابعة عند علمها بمرضها، والخامسة والسادسة والمائة بعد الألف.

تركت الرسالة تحملها الرياح، ثم قالت: لقد متّ قبل هذا آلاف المرات فما فائدة تكرار الأمر الآن، ثم عاودت أدراجها إلى منزلها.

ساره فاضل / مصر

يا ليت

وهي تحتسي قهوتها وتستمع إلى النغمة التي تحدثها حبات المطر إثر اصطدامها بسقف المنزل، إذ بالباب يطرق،كيف لأحد أن يخرج في هذا اليوم العاصف؟ هل هو ساعي البريد؟ أم متسول بشوارع المدينة طردته تلك العاصفة؛ ليهرول إلى هنا؟

نعم من الطارق ؟!! لم يسمع أي صوتٍ، هل هو أخرس؟ أم أخرسه صوتها الذي كان كنغمة بيانو تحدثها موسيقى السمفونية؟

سيدتي، أنا ذلك المصلح الذي اتصلت بكِ؛ لأصلح لك نافذة منزلك، لكن من يومها لم يعد مصلح منازل، بل أصبح مصلحاً لحالها ومصدر إلهام في حياتها، فتحت الباب، وعلامات الاستفهام بحد ذاتها، تتساءل من أنت سيدي؟ وأنا لم أتصل بأحدٍ! ولم أطلب من أحد أن يصلح لي نوافذ منزلي!! كل شيء بحالة جديدة وقبل إكمال حديثها، وأنت ما علاقتك بي؛ لتسألني عن حالي؟ ابتسم الى أن ظهرت أنيابه وقال: حسناً تبدين مضطربة، أليس كذلك ؟؟

-لا يعنيك، وليس لك دخل ؟!

تحملين فنجان قهوة يبدو أنه لديك إدمان، من يشرب القهوة في هذا الوقت ؟

-لم أوجه سؤالي لك عن رأيك، هلّا ذهبت، فأنا أخبرتك أنك أخطأت في العنوان، وأظن أنك تسمع جيدًا، ولغتي مفهومة، ولست بحاجة الإعادة!!

القلب من قاده إلى قدره، فكيف لأقدام القلب أن تخطأ؟

قد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، كذلك أقدارنا تمشي بعكس ما نريد، لكن في الكثير من الأحيان تعطينا أكثر مما نريد، فلعبة الأقدار تلك لا يربح فيها إلا لاعبان اثنان، الأول: من صبر وتمسك بخيوط الأمل، والثاني: لا خيار غير ذلك،

ربما أخطأت العنوان آسف على الإزعاج سيدتي، لكن هناك شيء يقول لي: أنني فالعنوان الصائب، لكن لماذا

-اسمع يا هذا؟ أنت والحثالة أمثالك اذهبوا إلى الجحيم، فالعالم تعكر بوجودكم، أظن أنك سمعت بما فيه الكفاية؛ لتجمع شتات كرامتك، وتغدو في حال سبيلك.

ذاهبٌ، لكن تفضلي هذه البطاقة الحمراء، أهداها بطاقة مكتوب عليها: "سنلتقي أعدك"، يا له من أحمق!

بعد كل هذا لا يزال يلتف حولها، نعم، فالرجال يحبون المرأة صعبة الطباع، مستحيلة الوقوع، فكل ممنوع مرغوب، وهذا ما جعله يراهن نفسه؛ حتى يحصل عليها، نعم، لم يكن حبًّا، كان مجرد رهان لعين، ربما أصبح الكذب غريزة البقاء عند الرجال، إلى هنا ويكفي، إلى متى سيظل الكذب هو منقذهم؟ دائما، ألن ننجو من هذا الطاعون؟ أصبح هؤلاء الحمقى يهددون راحتنا، اذهبوا حيث لا يرى لكم أثر، المفاجأة التي خبأها وراء كل هذا الكذب هي مراقبته لها طيلة فترة بحثها عن العمل؛ لتؤّمن لقمة عيشها بنفسها.

تتمتع بكثير من الكبرياء، لم، ولن تقبل الشفقة والرحمة من أحد، إما السقوط بفخرٍ، وإما الوقوف بعزة، نفس الخيارين الاثنين اللذان لا ثالث لهما، لكن للأسف عندما يحجب الحب عيون القلب يصبح أعمى، أجل، وهذا ما حدث جعلها فرسيته، واصطادها بمكرٍ، لا بل بمكيدة مكرة، ثلعب في زي إنسي، ماتت غرقاً على أرض اليابسة، في كل مرة تعود؛ لتعانق جدران غرفتها فقط، لأنها تشعرها بالأمان، تقرر أن تنسحب منه، لكن تنسحب منه لتسحب إليه مجددا، تجد نفسها بين أحضان حبه اللعين، يعيد لها شعورها بكلمات معسولة تخبئُ الكثير من السم، لكن يأبى القلب أن يقاوم، ويأبى العقل أن يطغى، فتعود، وليتها لا تعود، لكن في آخر مرة، ومن رحلة طويلة في اللاوعي تصفعها الحقيقة؛ لتعيدها إلى شعور الوعي، لكن هذه المرة بوجه ملائكي وقلب شيطان، أخرست نبضاته كلمات الحب المخدوعة تلك.

قالت في نفسها وهي تمسح دموع خيباتها: أنا حقاً أستحق ذلك الكف الذي صفعتني به الأيام مرتين، ما دمت لم أتعلم من الماضي فلا أستحق رحمة الحاضر، ها أنا أوقعت نفسي في الحفرة ذاتها التي كلفت قلباً بأكمله؛ للخروج منها، دفعت ثمنها باهضا؛ مقابل النجاة، وحقاً أنا نجوت،لكن نجوت؛ لكي أسقط فيها مرة أخرى، كلما حاولت الهروب أجد نفسي هربت منه إليه، لكن هذه المرة أنا مجبرة لا مخيرة على تجاوزه، لن أفعل المستحيل؛ من أجل شخص لم يفعل لأجلي الممكن..

بعد مرور أيام على فراقهم عاد متصلا، من أين له كل هذه الجرأة؟ لكن لو نظرنا من جانب آخر لوجدناها وقاحة...

عماد: اشقتك، ولقد شق شوقك قلبي.

نهلة: ههه، من أين لك هذه التفاهة؟ من أين اكتسبتها؟!

عماد: تسمي هذه تفاهة؟

نهلة: نسيت أن أخبرك من زمن أنك التفاهة بحد ذاتها..

عماد: تتحدثين كأنك لا تمزحين!

نهلة: نعم، أنا لا أمزح.

عماد: أعجبتني صراحتك.

نهلة: وأنا أعجبتني وقاحتك، لما عدت؟ ألم تنته من ألاعيبك القذرة كوجهك؟

اسمع يا هذا وافهمها جيدًا: أنا تحررت منك.

عماد: هل من الممكن أن توضحي حديثك؟ لا أفهم.

نهلة: كل شيء واضح، وزاد وضوحاً الآن، لا تعد للاتصال بي، لقد نسيتك، فهمت؟

نحن لا ننسى نحن نتظاهر فقط، فلا يبقى في الذاكرة إلا ما نريد نسيانه.

عماد: لا، اتصلت كي أقول لك شيئا آخر، أني لا أحبك ولم أحبك، أنا فقط كنت أريد شخصا يملأ فراغي العاطفي وأنت فعلت لي ذلك.

أصابتها صاعقة ما قاله، لكن لا تزال صامدة كأول مرةٍ في لقائهم الأول، نظرتهم الأولى... نعم، لقد اتصل بها هذه المرة ككل مرة، يرمي بسهام كلماته الحقيرة؛ ليصيبها في منتصف قلبها، ويخبرها أنه لا جدوى من إكمال طريقهما معاً، وقد حان موعد الانفصال، لكن نهلة كانت امرأة القلب والعقل معا.

وقالت له: أعلم طبعا سيدي هذا ما كنت أنتظره منذ مدة، ماذا تظن أني فاعلة؟ سأنهار راكعة أطلب حبك اللعين، أم أني سأسقط باكية أعانق جدران غرفتي؛ لأنك وضعتني على هامش حياتك؟ إذن.. دعني أخبرك أنك لم تعرفني بعد، وأن توقعك خانك هذه المرة، أن أحبك هذا لا يعني: أن أعبدك، وأنحني لك مترجية بقاءك، اذهب إلى حيث الجحيم، فمن أراد الرحيل له مني سلام، واللقاء إلى يوم يبعثون .

بعدها أغلقت السماعة، وسقطت أرضاً، تنكش بين ذكرياتها؛ التي باتت مصدر ذعر لها، فعدو الإنسان ذكرياته .

نعم إنه الكبرياء يا سادة, أن تبكي وحدك لا يسمع لأنينك سوى خالقك خيرٌ من أن يواسيك ألف منافق، ومئة مشفق. مزيدا من الكبرياء وتباً للجميع، صدم من ردها البارد، من عدم مبالاتها المفرطة، شعر بقوتها، لدرجة أنه أعجب بها مرة أخرى...

فوزية ميلود /الجزائر

بدون عنوان

إنها الساعة الثامنة مساءً، أقود سيارتي بتكاسل؛ عائدة من عملي الذي لا يكاد ينتهي، مررت بزاوية من بيته؛ لأمرر على مخيلتي شريط الذكريات، ها قد مرّ شهر على فراقنا الشعور الذي يخنقني، أفتح باب منزلي بثقل، أنزع ثيابي الباهتة، حان وقتي الآن جلستُ والكآبة قرب مائدتي ترتشف من نفس فنجان قهوتي، نسيت أن أخبركم أنني ماهرة في الطبخ اسألوا الخذلان، القسوة؛ لأنهما تذوقا ملح أصابعي.

الساعة الثانية عشر ليلاً عاد البشر إلى منازلهم، واختبأت الوحوش في جحورها، وعدت أنا إلى عزلتي أمارس هواية الكتابة التي ستوصلني حتما إلى الجنون، الوقت يمر، أردت أن أكتب على دفتر يومباتي بعض الكلمات المبعثرة، ارتشفت بعض القهوة؛ كي أتحمل تفاهة بعض الاحداث لكن هذا العالم ظالم جدا، اليوم سيكبر قلبي من جديد بين أحد السطور اللعينة، جلست أراقب دموعي وهي تلامس وجهي؛ لتستقر في صفحات دفتري، لكن ماسبب كل هذه الأحزان والحسرة؟

شهر وأنا بدونه، من؟

إنه هو ذلك الذي أخذ من قلبي موطناً، لقد وعدني بالزواج وحياة بلا إعوجاج، لكن لم يفعل، قد انفصلنا، كلما أمرُّ على بيته أسمع قهقهاته التي تدل على الفرح، أخبرني أحدهم أنه قد تزوج، لكن لقد علمت أنه أصيب بالجنون من بعد الفراق، أخذته سيارة الإسعاف إلى المصحة العقلية، لا تقلقوا أظنه سيتعافى، ربما**!!**

حسناً، لايهم، تقريباً الصداع يقيم احتفالا في رأسي، دوارُ حادُ، شعورٌ بالغثيان، أفرك قدماي، وأفكر في كلمات تعبر عن يأسي، التهم الحبر آخر أنفاس أوراقي، أنا متوترة قليلا، حسناً، سأهدأ، صمتٌ رهيب يكتسح الغرفة، قررت أن أزوره ربما؛ لأنني أشتاق إليه، الأمور تزداد تعقيداً، ليتني أجن وينتهي الأمر، لقد خسرنا كلينا و فاز الكذب..

مروة بن صالح/ الجزائر

الكل يتكلم

يقال إنه في إحدى الشوارع من شوارع أحد المدن، كان هناك محل لبيع الورود، وكتبت صاحبته بخط جميل على باب محلها عبارة: (هنا يباع الورد).

جاءتها احدى صديقاتها؛ فرأت العبارة مكتوبة بخط جميل على باب المتجر، وقالت: العبارة جميلة والخط جميل، ولكن لماذا كتبت هنا؟ أرى أن لا ضرورة لها، لا سيما وأنت تبيعين الورد هنا وليس هناك.

فقامت صاحبة المحل وحذفت كلمة هنا، وبقيت العبارة هكذا(... يباع الورد).

في اليوم التالي زارتها صديقة ثانية، فقرأت(... يباع الورد) فأثنت على العبارة والخط الجميل، ولكنها اقترحت حذف كلمة (يباع) فالمحل معروف لبيع الورد، فقامت صاحبة المحل وحذفت كلمة يباع.

وفي اليوم الثالث زارتها صديقة اخرى، فاستنكرت كلمة (الورد) مكتوبة هكذا وحدها وقالت لصاحبتها: إن رائحة الورد تملأ الشارع من أوله إلى آخره، فلا مبرر لهذه الكلمة على باب المحل. فما كان من صاحبة المحل إلا أن عمدت إلى محو الكلمة وبقيت اللافتة بيضاء بلا كتابة.

وبعد يومين أو ثلاثة زارتها صديقة رابعة وقالت: لماذا لا تكتبين على باب المتجر (هنا يباع الورد)؟

إرضاء الناس غاية لا تدرك-

عديل صفية/ الجزائر

ذهب ولم يعد

لا أكره في حياتي سوى أولئك الذين يمثلون الحب، ويدعون الشعر لاصطياد فتاة قلبها أرق من فراشة. أولئك الذين لا يقطعون ميلًا واحدًا للوصول إلى المحبوبة، ولكن بالمقابل يريدون منها قطع أميالًا لا تنتهي لتصل إليهم، معاتيه ولا أرى اسما آخر ينطبق عليهم أفضل من هذا، يتذرعون بالحب، ولكن أين الحب؟ قبلة خالية من مشاعر الحب، ممتلئة بشهوة كلب يلتهم قطعة لحم بشراسة، سرقة قلب وتدنيس محتوياته ورميه؛ لأنه لم يعد يصلح للحب.

لص محترف يتركُ آثارًا كثيرة رغم ذلك الإمساك به مستحيل، وتلك المحبوبة المغفلة تصدق أحمق قد حفظ سطرين من كلام الغزل ليلقيه عليها، تتثبت به مثل مغناطيس، وهو لا يكترث لها بتاتًا، ينتظر الفرصة المناسبة للحصول على جسدها، فهي وليمة لذيذة لن يفرط بها.

من غرائب الحب؛ أنه ينتهي بفراق وخيانة وحالات قليلة بالزواج، وربما أنا لست مميزة حتى أصنف ضمن الحالات القليلة هذه وكتب لي تجرع مرارة الفراق.

ومن أحببته لا يختلف عن أولئك، لقد أصابني بسهم الوهم الذي ظننته حبًّا، وأي حب وهو يقبلني على أرصفة الشارع دون رابطٍ يجمعنا سوى خيوط الغزل الرديئة التي ستنقطع يوماً ما، وأشعار محمود درويش المتكونة من ثلاثة مقاطع ينشدها لي في كل خروجه. نعم، أحببته، كنتُ بحاجة ملحة إليه، حتى مخاوفي من صفعة الحب حطمتها وتجاوزتها من أجل كلمة رخيصة منه، تمتع أذني، وترسم ضحكة على خدي، بالنسبة لي مثل هذا أمر لم يحدث في الأحلام، قد يكون هذا سبب تمسك به، وأنا أعلم أنه سراب.

نعم، هذا الطريق محفوف بالمخاطر، ولكن المخاطرة في قلب، أمر لا يغتفر وبالذات إذا تلوث. أخبرته بذلك عدة مرات حتى أقلل من هواجس مخيفة كنت أشعر بأنها قد تتحقق يوماً ما، ودائمًا كان يكتفي بالصمت المريب.

أرفع رأسي نحو السماء وأغمض عينيا ، حتى أقلل من متلازمة التوتر التي حلت بي من شهر، وترفض مفارقتي، ولكن محاولاتي تباء بالفشل؛ فأنا أراه في كل مكان، يسكن هذه الذاكرة اللعينة، التي أتمنى لها الموت.

ربما العيش بلا ذاكرة هو الحل الأفضل والخلاص، وربما لأنني امرأة تحطم كبريائها، وعاشت في قصة حب جردت منها مشاعر حميمية، وجعلتها عارية أمام قاسٍ لوثها، وتركها غارقة بدموعها، تتمنى ذلك.

كل مرة أقسم وأتعهد على نسيانه، يهتز هاتفي برسالة لعينة سامحيني، صالحيني، اغفر لي، بحاجة إليك، محبوبتي، صديقتي، المشكلة أنني أحبه وسأظل أحبه للأبد. تسرعُ يديَّ في الإجابة، أنا أكرهك، إياك أن تقوم بإرسال الرسائل لي مرة أخرى، وأقوم بفعالية الحظر لينتهي الأمر بأيام سوداوية ودموع حارقة لا تتوقف.

نعم أحبك، ولكن لا أستطيع تقبلك مرة أخرى، لأول مرة أقدم قلبي لأحد وأضع ثقتي بغريب، أحببتك وتمسكت بك مثل طفلة، ولكن أنت حطمت كياني وغادرت دون وداع.

كيف هي الأيام بدوني؟ هل ما زلت تتشاجر مع صاحب البقالة؟ هل تنام بحذائك؟ هل ما زلت تلاحق الجميلات؟

حياتي بدونك بلا معنى، ولكنني أقاوم لأتجاوز، كلامك الجارح الذي أنهش قلبي، ومزق روحي.

فأنت لا تختلف عن بقية الذئاب الذين يخدعون الفتيات، مبدع في نسج الأكاذيب، ومكرك لا يقل عن مكر ذئب.

لا أعلم لماذا قررت افتعال حرب معي؟ ولماذا اخترتني وفضلتني؟

آه آه، تمنيتُ لو ودعتني على الأقل ببعض الحروف الجميلة، أو بوردة، ولكن غادرت فجأة، ورحلت دون استئذان، أحيانًا أقول لعلك شر خلصني الله منك، ولكنني تورطت بك، ماذا أفعل الآن مع جحيم الذكريات.

في كل مرة خرجنا فيها تحت ما يسمى موعد اللقاء؛ تبعثرني بنظراتك، عيناك فخا أقع بهما كلما نظرت إليهم، حينها أدرك بأنه لا مناص منك. نجلس ساعات طويلة نتناول الذرة المشوية الحامضة، ولا تكف أنت عن مغازلتي، وأنا بدوري أبوح لك بسري، ولا أعلم لماذا؟ مع أنه لم يمض على لقائنا الكثير، إلا أنك تربعت على قلبي، واكتفيت بك وحدك، يا ليت تلك الأيام تعود ويا ليت الليت يكن.

لم تكن تستطيع إخفاء علامات السعادة عندما ألقي القليل من غزلي لك، ودائمًا تقول لي: أكثري من هذا الغزل؛ فهو يذوبني.

لا أنكر أنني أنا أيضًا أذوب، وخاصة سحبة عينيك التي تثيرني. كمْ وددت أن أخفيك عن الاطلاع، كي لا يقعوا بك.

في الوقت الذي كان عليك أن تطرق بابي لتطهر علاقتنا،

أتيتني خلسة من النافذة لتسرق قبلة وتقدم وردة تخلو من رائحة الحب.

جدتي أخبرتني دائمًا أن الحب الحلال من يصون شرفك، ويطرق بابك ويعلنك أمام الملأ زوجة له.

أنا لم أنس كلام جدتي أبدًا، ولكنني ظننت أن هذه الحكايات قديمة وتقليدية، فراهنت بقلبي وخسرتُ الرهان.

أستحق ذلك لن أنكر، أن تراهن على شيء وأنت على ثقة شديدة بأنك ستخسر ورغم ذلك تراهن، فهذا غباء... ولكن سرطان الحب سيطر علي ، شوه كل مفردات المنطق، حتى بتُ مهيمة بك. أحلق نحوك كأنك القبول الوحيد لقلبي، حتى أصبحتُ بوجودك أقل غضبا، وأقل كرهًا. وأكثر حُبًّا، ولكن الآن لا شيء يسامرني سوى الكراهية.

يوجد كلام كثير لم أبح به لك بعد ما زال ينام على شفتي، ومن الصعب أن أوقظه لغيرك، ولكنك اختفيت بسرعة. والآن مَنْ يخيط الجروح ويزيل الندوب؟ حتى الأيام ضدي تمشي ببطء شديد مثل سلحفاة، والأصدقاء غادروني، شبعوا من دموعي، ومن الشكوى التي لا تنفذ ولا تنتهي.

ماذا أفعل؟ هل أقوم بتمزيق رسائلك المزيفة ورميها في القمامة؟ أخبرني؟

ماذا أفعل لو مسني الحنين في منتصف الليل؟ واستمرت قدماي تزحفني إليك، والهالات السوداء لا تشفى إلا برؤيتك، وماذا عن قلبي المحكوم بك، وبأوراقك القانونية؟

ليتني علمت من البداية أنك رجل لا يفهم لغة الحب، وتسعى خلف لغة الجنس فقط؛ لعلمتُ حينها أنني وقعت بخائن، ووفرت تحطيم مجاديف قلبي، ولم أكن سأزف بالخيبات.

ضياء الخطيب/ الأردن

كما تدين تدان

كنت أسير بين قطرات المطر حاملة مظلتي المزركشة بألوان قوس قزح البهيجة، فانعكست لي ألوانها في السماء، تلتها ابتسامة مني تدل على الرضا، أمشي بخطوات ثابتة وبهدوء، أجلس في مقعد تحت شجرة ضخمة، فتنسجم رائحة الأرض مع الأشجار؛ لتصنع إيقاع مختلفا من الموسيقى، فرفعت رأسي للسماء، ولمحت نور الشمس البديع؛ ليصنع منظرا في غاية الروعة، أخذت روايتي بهدوء، وبينما كنت أقرأ وقفتني كلمات؛ لتعيدني سنينا إلى الوراء..

فأتسائل تساؤلات؛ لأقارن بين ماضيّ وحاضري، فوجدت أني انفردت بشخصيتي حين ابتعدت عن الصخب وجلست وحيدة، قارنت بين تجمعات أصدقائي، سقطت مني دمعة، تحسرت على ماضيّ حين وثقت بأشخاص، فسخرت مني الصداقة، وجعلنتي لعبة بين الناس بمفهوم "الأصدقاء"، لم أتدارك نفسي إلى أن فات الآوان، وعجزت عن الوثوق مجددا، فتحطمت واكتئبت، وبدأت أسأل ما ذنبي؟ لكن ما من مجيب، فمسحت دمعتي بيد الوحيدة، فجأة هبت رياح قوية تقشعر من خلالها بدني؛ لأرى نفسي فتاة مراهقة من عمرها، مرتدية حجابا شرعيا بمعنى الكلمة، لا مساحيق، ولا كعب، بريئة من داخلها وعفوية؛ لأعود إلى حاضري وأرى جمالية وحدتي، متمسكة بطريق الله،خاتمة لكتابه حفظا وتفسيرا، تتميز بأنوثة تثير الانتباه، لا تراها سوى في الضرورة، صانت نفسها من وحشية الجميع؛ لترفع رأسها الى السماء، تجدها ممتلئة بالسحاب والغيوم، تليها ابتسامة تعني الرضا؛ لتحمد الله على تميزها، وتشكره على انفرادها، فتغوص في أحداث روايتها.

عدت إلى منزلي؛ لأرى أمي تجهز المائدة، وأبي في غرفة الضيوف أمام التلفاز يشاهد نشرة الأخبار، وأختي الصغيرة أمامه ممسكة بهاتف أمي، دخلت إلى غرفتي وغيرت ملابسي، وغادرت؛ لمساعدة أمي، وبينما نحن على مائدة الغذاء سمعنا دقات الباب، أسرعت أختي؛ لفتح الباب، وإذا بها تخبرني أن هناك من يطلب رؤيتي، خرجت متلهفة، فوجدت ما دهشني حبيبي السابق الذي هجرني وغادر!

ذاك الذي أوهمني أنه لا يستطيع العيش بدوني! فأخذ مني روحي معه!

لما عاد يا ترى؟هل عاد؛ ليدعوني إلى زفافه هو وعشيقته، أم عاد؛ ليسخر من حالي، للحظات ونحن نتحاور أعيننا قطعت أمي شرودي حين صاحت متستفسرة، من الطارق؟ فأجبتها أنه صديق قديم عاد لزيارتي، أخبرتني أن أطلبه لتناول الغذاء، فأجبتها دون أن أسأله أنه يود المغادرة الآن، كان ذلك نداء له مني بأن يصرف عني، لكن ما أرى أنه مازال واقفا في مكانه كأنه لم يفهم قصدي، أو أنه يتصرف

كأنه لم يفهم، فأبى الانصراف، مازلت عيوني منحدرة، ومازال الصمت يعم المكان، كأن ألستنتنا شلت عن الكلام، رفعت عينيّ إليه، فرأيت عينيه ما زالتا تنظران لي بنفس الحركة وكأنهما هما من تبادران بالكلمات، اعتدت أن تكون كلماته مزيفة، لكن ما أرى أن عينينه تنظران لي نظرات الضعف والانكسار، وما أعيه جيدا, أن لغة العيون دائما صادقة، تناقضات بين أراءي، تأملت في شكله، فهو ما زال بتلك الوسامة والهيبة اللتان يمتلكها، ومازال يمتلك ما جذبني إليه أول مرة، لكني لاحظت نحافة جسمه الذي أصبحت ظاهرة بشكل واضح، ترى مابه؟هل لم تحتثه حبيبته على أكل الخضر كما كنت أفعل؟ ولاحظت أيضا البقع الخضراء التي توجد تحت عينيه مما يوحي أنه لا يتمتع بالقدر الكافي من النوم، أو أنه لا ينام أصلا، استيقظت من غفلتي عندما سمعت أختى تناديني: يا إلهي ماذا كنت أفعل الآن؟ وبأي حق أفعل! فهو لم يعد لي!

أجبت أختي أني اكتفيت من الطعام، رفعت رأسي لأنظر إلى وجهه، فأرى أنه مازال على حاله، ماذا به؟

حاولت استجماع الكلمات؛ لأخاطبه، ما سمعت أني استفسرته عن الأمر، لم ينطق إلا بآسف، طلبته أن يعيد ماقال؛ فأنا لم أصغي جيدا، أجاب بأنه يتأسف على كل جرح سببه لي.

"وما يفيد التأسف بعد أعوام من الخصام، وما يفيد الندم بعد فوات الأوان، يا ترى ماسبب تخليك عني؟ وماسبب عودتك الآن؟ أمازلت مصرا لجرحي؟ أما زلت مصرًا لقتلي؟ لقد أحببت جروحي التي ظننت أني تعايشت معها، لكن ما أرى أني ما أزال خائفة من الماضي، ليتك لم تعد، بل ليتك لم ترحل من البداية، أحببتك؛ فخذلتني، أترى ألآن حالتي؟ كفاك تعذيبا لي.

نعم، أنا ضعيفة بدونك، مازلت أحتاجك معي، ومازلت أشتاق أن أعيد لك تفاصل يومي، وأن تختار لي فساتيني، وتراجع معي دروسي، وأتوهج لمن يدللني، نعم أفتقد حضنك، أفتقد أن أعاتبك، وأن تراضيني بأبسط الكلمات، وأخاصمك من أصغر الأشياء، مازلت أفتقد الكثير... والكثير، لكنه قد فات الأوان.

والآن تتأسف! على ما تريد أن أسامحك؟ على تلك الليالي التي لم أذق فيها طعم النوم! أم على القهوة المارة التي اعتدت أن أشربها! أم على الأيام التي حرمتني من دفءِ العائلة فيها! أم على اللحظات المزيفة التي عشتها معك! على ما أسامحك يا عزيزي؟

"أوقفني قائلا": ماذا بكِ؟

"آه، ويا آه، ماذا بي! أما زلت تسألني: عن ماذا بي؟ أهذا كله وماذا بي؟"

أخبرته بأنه لاشيء، وماذا الآن؟

صمت دقائق؛ ليجيبني أنه أراد فقط أن أسامحه، وأنه قد انفصل مع خطيبته، والآن أحس بمكانتي في قلبه، وأنه لا شيء يعوضني.

بدأت أفكاري تتحرك قائلةً: "لقد انفصل عن حبيبته! لم يعد؛ من أجلي! بل عاد؛ لأجل نفسه، عاد؛ لأنه أحس بفراغ، لم يحس بي، لم يعد؛ لأنه تركني خائبة الأمال، تبا لك! ولحبيبتك!

أجبته: عذرا، لقد شردت قليلا، ولكني قد سامحتك منذ زمان، وليس أصلا هناك ما يدعو للاعتذار؛ لأني نسيت الأمر، وعشت حياتي بدونك، فلم تكن يوما ما قلبي النابض يا عزيزي، أتعلم؟ لن أسامحك إن كنت كسرت كأسي، أو أضعت روايتي، أما أنت فقط مجرد شخصية انتهى دورها في حياتي، سامحتك منذ أن رحلت، أما عن حبيبتك أو عن علاقتك بها، فهذا ليس من شأني، وما أنصحك به هو أن تستمر في حياتك ، وأن تترك الماضي كما تركته، وتعلم أن قلوب البشر أرواحٌ وليست ألعاب تسليك، سامحتك منذ زمان وغفرت لك، لكنك أعلم أنه من أفسد ماضيّ، لن أدعه يفسد حاضري؛ حفاضا على مستقبلي، وأنه كما تدين تدان، أغلقت الباب وانتهى الماضي معه.

فاطمة الزهراء/ المغرب.

ذكريات ملقاة بعودتك

ستختلف قصتي اليوم عما خلاف قبل، سأتحدث بجانبك فقط، سأتجاهل أمر تواجدي، وكأن الحياة كانت معك، وكل ذلك خلاف عن عينيك يستحق التوقف، لنبدأ عزيزتي...

أولى كلماتي لك؛ بأن الجميع يقتبس بعض العبارات ليبدأ تنصيصها ضمن موضوع كتاباته، أو يبني أفكاره على موضوع محدد، ويبدأ البوح بعبارات عدّة، ولا سيما حين الحديث عن محبوبه، ينتقي أفضلها، ما رأيك؟ تعالي لأوجز لك الكلمات، أول مرة تصدر دون تفكير، أو ترتيب، كأولى المرات التي لمح بصري لعيناك..

أصفف الحروف بتلعثمٍ، وخربطة، دون اختيار أفضلها أو أسوأها، المهم أن تخطى على مسامعك، ولأصرخ عليها حين تتقافز إلي؛ لاختيارها لأصفك بأصمتي، الآن سأبوح بعشوائية تامة، سأختار المساوئ، والتحدث عنها قبل صفاتك المهيم بها، فصرخاتكَ المتكافتة على رأسي الذي بات كثير التصدع في الآونةِ الأخيرة؛ مكروهة جدًا، ونحن كاذبون..

لا أحد يهوى الجانب المظلم، وأمقت بشدة ثرثرتك الدائمة عن الفتيات، التي يحطن بك، ماذا فعلن؟ وما قصتهن؟ ولو كان عنك، لما مللت أو ضجرت، وأبغض غيرتك المتكاثرة علي ، أخبريني: آلا تمتلك ثقة، وإن لم تكن مطلقة، على الأقل شبه مطلقة بي، أما هذا نوع من دلالك الكثير على روحي، ولأهوى هذا الأمر بك كثيرًا؛ فتظلين مدللة قلبي، لا تعتقدين، رغم ضجري من صفاتك الممقوتة، يعني أن تغيريها لأجلي، لا عزيزتي، بل سنعمل معًا؛ لتخفيف حدتها، لكي لا تتحول بشكل سلبي..

عفوية ذات صفات حسنة تهيم الروح بحركاتها، أصفك، وأنا الذي لا أكثر الحديث عنك، لكن سأجعل بعثرة حروفي تجسد بعضًا من ملامحك، فقوام جسدك المنحوت بحتات ذات انجذاب عالٍ بات ملكي ، ورسمة عيناك، التي تختزن عواطف أمهات العالم أجمع، فالحيرة المترامية بهم؛ أوقعت قلبي بحيرة، وخديك اللتان تلونا ليصبحا زهريان ، حين أرمي كلمة غزلية على وقع أذنيك سرقتني مني، أكره أن أتحدث عن صفاتك المشؤومة، لكن أمر لاً مفر منه، بعض الطباع توصف ولا تنكر، أعشق جنونك بشدة، ولا سيما حين نتناول البوظة في أشد أيام الشتاء برودة، لا أدري أين المتعة بذلك، لكن ما دام الأمر برفقتك، لاً بأس.. سنعاود الأمر.. متى ترغبي؟ ولن أرفض، إلا إذا أردت رؤية عبوس ملامحك، التي ستوحي بوقوع كارثة بالمكان، لتكن النتيجة بخنوع الموافقة الجازمة لكسب الضحكة فتبسم ثغرك تجعل الروح تزهر..

وأني لأشعل غيرة، ويحترق داخلي، حين رؤيتك تشاركينها مع غيري، فأكره أن يشاركني أحدهم بشيء أهواه، فما بال حالك تشاركين ضحكتك مع قبيلتك، وأصدقائك، وتجعليني أقع بغيظ شديد، كأنك تتعمدين هذا الفعل، أيضا لا أحب فعلك هذا، يوضح صغر عقلك، لا أنكر بأنني مغرم بطفولتك معي، فحين غمرت وجهك المتحاذق بخنقه الدموع بين دفات كتفاي، شعرت نفسي كأني أول مرة أحتضن طفلة تتأتئ بالحروف، وكان السبب في نهاية الأمر، بأن أحدهم أوقع الزهرة التي أهديتك إياها، مضحك الموقف آلا تدري بأني سأجمع كل الورود من أجل عينيك...

أتتذكرين حين وقوفي مع إحداهن عساي أجعلك تضجرين مني؛ لتأتي صارخة عليّ، وتتهميني بخيانتك، لكنك لم تأبهي ترمقينني بنظرة لامبالاة، وكأن الأمر لاً يهمك، وأنا لا أعني لك بشيء، لجعلتيني أقم بردة فعل معاكسة، وأشير لإصبعي بأني مرتبط، بالرغم من عدم وجود خاتم يحاوط أصبعي، لكن الفتاة؛ تفهمت الأمر، وما صدمني؛ بأنك تبسمتي لي، كأنك انتصرتي علي؛ لتوقعيني بحيرة، هل حقا تغارين علي، أم تثقين بي، لا أدري، بالرغم من مناقضة كلامي السابق عنك، صاحبة الغيرة المشتعلة، وأنا كذلك، أهوى عدم ترتيب حروفي لك، فأنا معك أكن بشكل خاص، أغوص بين دفات عينيك، وألوذ هيامًا بك، فأنت بسيئاتك، أو مواصفاتك الحميدة، فبكلا الحالتين، قلبي الذي يهوى، ولا أملك بيدي حيلة، فالمغرم بعيني طفولية، لا يرغب بالاستبدال بغيرها، عودي إلي عسى أعود أنا، ونكون بحالة ال "نحن" ولأعود للحياة مجددا.

شهد شاتي... سوريا

هل يسمح لنا القدر

من بين جمع غفير، لمحت إنسانًا من بعيد، فصغرت الأميال بيننا. ولاحظت أن قلبه نقي كطفلٍ صغيرٍ يحب كل من حوله سعيد.

شاءت الأيام أن يختفي ظلانا عن الأنظارِ، فقال: سأسأل إن كانت على مايرام.

لكن الخجل جعله في تردد دوام، فبادرت أنا لأسأله عن الأحوال، قال: إن لدينا تفكير توأم،

-نعم، لم نلتق وجهًا لوجه، لكن التقينا قلبًا لقلب.

فرأى كل منا الآخر أعمق ما يكون، هذه قصتي معك،لا تسألني عن مكانتك؛ وأنت تعلم أنك روح داخل جسدي وكأني بك ابتدأت ومنك انتهيت، فلا مهرب منك إلا إليك.

أيا رفيق الروح إن أوان البوح أراك بين أوقاتي وأيامي

فهل تراني كما أراك أجدك بين نبضي فهل تجدني

هناك ألقاك مع طيفي فهل تلقاني كما ألقاك

تاه ناظري فأصبحت لا أرى سواك

وكأن شيئًا بيننا بيينا منذ ألف عام

نما دون إصدار همس أو كلام

فإن كانت هذه صدفة دون ميعاد

بت أعلم أن صدفات كهذه لا تعاد

أيها البعيد عن عيني الحاضر بقلبي

نلتقي أو لا نلتقي أنت في حفظ الله وفي قلبي

أيها البعيد القريب الحاضر الغائب أحبك

أنا البعيدة التي تحبك أكثر ممن حولك،

رغم المسافة بيننا أراك أجمل أشيائي وأقربها

أراك وطنًا بما فيه أهلي وأصدقائي وأحبابي

أجمل أمنياتي التي قمت بتحقيقها

أراك سري الصغير أنت أماني ومأمني

إني أراك بقلبي بقلبي وهذا يكفيني

لطالما تداول الناس عبارة في إحدى ليالي ديسمبر، سيطرق الحب باب قلبك.

دائما كنت فتاة لا تؤمن بالحب، خاصة الحب عبر المواقع كنت أعتبرها أكبر سخرية في العالم.

كيف لشخصين أن يتبادلا المشاعر رغم المسافات؟ لطالما رددت هذا السؤال في ذهني، ما كان يزيد يقيني أنني لن أكون علاقة مع شخص عابر، كنت أحمي قلبي من الانكسارات كأنه ابني الوحيد.

ها قد حلت علي لعنة ديسمبر ويا لها من لعنة، تدفئك في البرد، وبها تمضي الليالي الطويلة كيف اخترقت سجن قلبي ؟ أنت الذي كنت أمقتك وأمطرك بجميع عبارات السب والشتم مع صديقاتي، أنت الذي غمرتني بالتنمر والسخرية، يا لغباء القلب.

المحادثة الأولى، لست بالشخصية الشريرة في حياتي كما وصفتك دائمًا.

لا أنكر أنني غيرت نظرتي لك، أظهرت لي جميع جوانبك في فترة قصيرة، صرت أعرفك أكثر من نفسي. لم أظن أبدًا أن قلبينا سينبضان لبعضها دائمًا، كنت تتحدث عن الفتيات اللواتي يلاحقنك وما كنت تعيرهم اهتماما، كنت دائمًا تقول: أنتِ فقط لاتهمني الأخريات، فأقوم بالضحك وأنعتك بالمراوغ المتلاعب بالمشاعر.

ما هي إلا أيام أمضيناها معًا، فمن يسمع تفاصيل حكايتنا يظن أنها مرت أعوام، بالفعل أياما قليلة كانت كفيلة أن تتسلل إلى حياتي.

نستيقظ صباحًا، ونقضي اليوم بطوله، ونخلد للنوم معًا، لم نتحدث بذلك اليوم مطلقا، كنت مشغولًا مع أصدقائك لم أبادر بالسؤال، دائمًا كنت تنعت الفتيات اللواتي يراسلنك بشكل مستمر بالغبيات؛ لن أكون مثلهم، سأكون أول فتاة مختلفة الطباع في حياتك.

التاسعة مساءً، رسالة جديدة من صديقك المتنمر، أول اسم أعطيته لك... تسألني إذا تناولت طعامي وإذا حصنت نفسي من البرد قائلاً: قومي برعاية نفسك ليس لدي غيرك وأضفت اليوم، تحدثت لأصدقائي عنكِ، أخبرتهم كما أنتِ فتاة مختلفة، بسيطة

بتصرفاتك، فلم أقل لك ولا كلمة، اكتفيت بِشُكْر لك، لطالما كنت الغبية الأولى في امتحانات الغزل.

لا تنام، انتظريني مشتاقا لك؛ فأردد يا له من كمين فاشل نصبته، لن أقع في شباكك، كنت أوهم نفسي فقط بأنني لن أنكسر أمام رجل مهما قال ومهما فعل.

تبادلنا أطراف الحديث ونمنا ونحن نتحدث، كنت كمسؤولية أم اتجاه طفلها، أوقظك صباحًا وأتابع يومك وكأنه شيء عجيب أثار فضولي ، وأنا مسرورة من ذلك.

-سأذهب لعرس ابن خالي، تساءلت: لماذا ليس لدي علم ماذا سترتدين؟ كيف ستذهبين؟ كل هذه الأسئلة؟ فهمت إنه شعور الغيرة، استيقظ داخلك.

أمطرتني بالرسائل والمكالمات، آخر رسالة، أحبك جِدًّا وأنت لي فقط، "انتبهي على نفسك". كانت رسالة مشفرة، تقول فيها: إياك أن تغدر حبي لك..

أيقنت في تلك الليلة أن الحب جميل والصدق والوفاء والثقة ما يزيدونه سروراً.

اقترب عيد ميلادي وأنت كغيرك من الرجال الأغبياء، لا تهتمون للتفاصيل الصغيرة، الكل هنأني ولكن لماذا أنت ليس من بينهم؟ والأحرى لست أولهم، حسنًا، أنت غبي وأكثر من غبي، بت أشمتك في نفسي عبارات مشابهة، رسالة منك رغم تأخرها أفرحتني، توارت الأيام والشهور لا أنت تقضي يومك بعيدًا ولا أنا أقضيه، صار لهيب الغيرة يلتهمني أصبحت ملكية خاصة، حتى الاسم الذي أناديك به عندما يجدون له شبهًا أقوم بتغييره.

كنت دائمًا تردد كلمات مثلا أحبكِ أنتِ عشقي وأنتِ ابنتي. أتعبتك حَقًّا بتصرفاتي، فقد كنت تلك الطفلة التي تلح على شيء، وبمجرد كلمة تغلق على نفسها.

تعبت نَفْسِيًّا، حَقًّا إنها أسوأ أيامي التي أمر بها، الله فقط يعلم الخناجر الذاتية التي تطعنني، أخاف أن أؤذيك...

أرسلت لك رسالة، محتواها أنني لن أكون في حياتك من الآن فصاعدًا أثارت جنونك الرسالة، ما اعتقدت إنك ستسمع مثل هذه الكلمات من الفتاة التي تعلقت بها، وأصبحت معك أكثر أنفاسك ونبضاتك.

إنها ليلة كئيبة، حتى أمي لم تفتح لي الأحضان؛ لتواسيني لتربت على ظهري، بادرت بالاعتذار، فقابلتني بقول أردت الذهاب ها هي الطريق، وفقك الله.

هل هذا حَقًّا هو الذي أحببت؟ تركني في أول غلطة، الكل سيتركنا ذات يوم، حتى نبضنا سيذهب دون سابق إنذار.

يا لهذا الامتحان! أمي غير راضية، وأنت لست معي، حتى عملي أخذوه مني، يا إلهي أنت تعلم وأنا لا أعلم، "اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" شجعت نفسي بهذا الورد، بعد خيبة أمل أخذتها منك، فأنت لم تر الدموع التي سقطت وأنا أكتب لك، اتصل بي أنا أحتاجك، يا لها من خيبة أمل.

لممت شتاتا نفسيا، وهممت إلى المنزل الذي بدا كأنه مهجور، لماذا أنت قاسي القلب؟ لا تسأل ولا تهتم لرسائلي.

اجتمع الناس يتبادلون...ال تهاني بمناسبة العيد، كنت أول من هنئتك وبادلتني التهاني، أنت كذلك، كانت علاقتنا كأننا لم نكسر بعض، نسيت أنني تركتك في المنتصف، ونسيت أنك لم تعرني اهتماما في أمس الحاجة إليك، لم نكن نعلم أنه أول شق في علاقتنا وسيتباين مع مرور الوقت.

من أصعب ما يتعرض له الإنسان الخيانة من الشخص الذي كان في نظره مختلف عن الجميع، كان يراه الحامي لقلبه صائن الثقة.

مت في ذلك اليوم؛ لأنه قيل لي إنك خنتني مع الفتاة التي طالما حذرتك بأن تلتزم حدودك معها، كيف هانت عليك دموعي وقلبي الذي استودعتك فيه؟ لست أهلا للحب، اللعنة عليك وعلى أشكالك، هذا ما قلته في لحظة غضب. هرولت مسرعة لأراسل تلك التي اخترتها لتكسر ثقتي بك حتى أرى متى بادرت بالتكلم معها، لو أنني تجرعت السم لكان أهون من كلامها، تلاشت ملامح محبوب قلبي ومشاعري اتجاهه، حلت مكانها مشاعر الحقد والغضب، تولدت في داخلي الرغبة من الانتقام منك، لكن لا العين تقوى أن ترى غيرك من الدموع ولا الجسم يستطيع حمل جثة روحي.

الكل لاحظ هالات السوداء، انقطاع النفس، وإهمال ذاتي، بعد أن كانوا يسألون عنك وعن علاقتنا أصبحوا يهمون بالسؤال عن حالتي، رغم أنها كانت واضحة أمامهم توعدت صديقتي أن تعاتبك ومنعتها من ذلك، الكل يشتمك وأنا أشتم قلبي، عقلي في دوامة أما قلبي المسكين أصبحت حالته يرثى لها، من الخيبات، من إهماله، من غدره. لم تستحمل أختي رؤيتي بتلك الحال المنطفئة الشاحبة، الجثة المتحركة، عاتبتك وأكثرت ذلك، حتى جاءها رد منك أختك أغلى كنز في حياتي؛ لا أستطيع

حتى نزعها من تفكيري لم تمنحني فرصة للدفاع عن نفسي، أرجو منك أن تكوني وسيلة بيننا لفك النزاع.

حسنا ، أزحتك من القائمة السوداء وفككت عنك الحظر، ترى كيف ستقنعني؟ كيف تسترجع ثقتي العمياء بك بعد أن رميتها من أهالي جرف الغدر. لا أكذب على نفسي كنت أنتظر تبريراتك، كنت مستعدة لأتقبل أعذارك، لتقول لي لا تهتمين للأكاذيب التي مرادها تهدم ما بنيناه.

لم تنكر أنك خنتني، حتى ولو كان عن طريق الخطأ، ستبقى هالة سوداء في علاقتنا، أنت تبرر وقلبي تتقطع أجزاء، لا أنكر أن قلبي لم يستطع عتابك، لكن عقلي وعيناي كانوا ضدك. لم تكن تسمح لي بالمغادرة، فضلتني عن جميع أهلك ومشاكلك فقط لتبرر حبك لي.

لقد حل الربيع مجددًا على علاقتنا، وتفتحت زهور الحب وفاح عبير العشق في قلوبنا، وفراشات السرور والفرح لا تسعها شفاهنا. توطدت العلاقة بيننا أكثر من ذي قبل، فلا يأتي يوم إلا وقلت لي كلمة أحبك، وردها مرارًا فتقول: لأؤكد لكِ حبي وتعلقي الكبير بكِ فأنتِ ابنتي وقطعة لا تتجزأ مني، كنت أكتفي بالرد عليك وأنا كثيرًا ، لو تعلم تلك كثيرا ما تعادل من الحب والعشق.

جاء أفضل يوما منذ أن عرفتك، اليوم الذي أنجبتك فيه أمك لي، اقترب منتصف الليل، ما زلت تلمح لي، بقيت عشر دقائق، دقيقتان لم تستحمل واتصلت بي، قائلا: أريدك معي في كل يوم من أيامي القادمة، أنتِ دون سواك أمضيت تلك الليلة تغمرني بالحب...

قائلاً: أنت كنزي وحظي من الحياة، ملكة قلبي، كل هذه الكلمات، جعلتني أميرة من الأميرات، عثرت على أميرها، لكن من سوء حظي؛ أميري متقلب المزاج أكثر من تقلبات الطقس.

يا محبوبي، الحب ليس بمزاجك، الحب يجبرك على أن تعيش وتتعايش مع صعاب الدرب التي اتخذتها سبيلًا، ليتك تستوعب أن الحب لا الكرامة ولا المزاج ولا حتى الظروف لها أولوية وسلطة عليه، فلترافقك السلامة أثناء عودتك من هذا الطريق إن استطعت العودة بالطبع.

مضت سبعة أيام منذ إن قلت لي لننفصل، أتراها حقا الظروف ما أجبرتك أم إنها حجة اعتمدتها كغيرك من الرجال؟

اليوم الأول لم نتراسل بقيت في مخيلتي، أسعدني رؤيتك نشط في مواقع التواصل الاجتماعي، انتظرت وانتظرت أول محاولة انتظار فاشلة. أخبرت صديقاتي حاولن التخفيف من وجعي ويرددن على مسمعي؛ لا يستطيع بدونك، لا يعرفن أنك أنت من بادرة بالانفصال.

اليوم التالي لا رسائل لا مكالمات، بدوت حقا مصمما على الانفصال حسنا، فليسعدك الله في حياتك.

الخامسة مساءًا ، رسالة من عندك تستفسر عن أحوالي كذبت وادعيت أنني بخير وأنت كذلك.

صمت رهيب بيننا لأول مرة، أتراها الحرب الباردة بين قلوبنا؟ مؤسف، رسالة أخرى تصمم على الاطمئنان عني أكثر. بادرت بالكذب، وقلت بخير لا تقلق، يبدو أنك لم تستطع الكذب مثلي، نجوت من الموت، أتدرين؟ عبارة صادمة وقعت عليها عيني، نسيت الخصام وبدأت بالتكلم بنبرة محب قلق ما بك؟ أنت بخير؟ بت تكرر اسمي الذي أضفت له ياء الملكية عدة مرات قلت: لستِ بخير أريد ضمك والبكاء، فهدئت من روعك وطمأنتك أنني لن أذهب.

حسنًا ، أيتها الحياة، فرضتي نفسك حتى في وعودنا، رسالة صادمة من فتاة تدعي النصح، ما إن قرأتها قصدتك فورًا للعتاب يبدو أن عتابي كان قاصيًا وعدم ثقتي بك أقصى.

رددت عبارة لا أريدك ولا أريد معرفة أخبارك من الآن فصاعدًا، عاد الكابوس مجددًا، كابوس عدم تواجدك في حياتي مرة أخرى. ها، بك سمعت أحد أخباري بالصدفة، هممت لمسح دموعي، لم تتركني منذ الصباح، أيا حبيبي الحنون هذه التصرفات وانفعالاتك نحوي دائمًا ما كانت هي حقيقتك وسجيتك.

ما زلت تواسيني ولا تريد رؤيتي حزينة، زال البأس وأخبرتك بالخبر السعيد، لم تكتمل السعادة، فأنت لا زلت مصمما على المغادرة، جربت حظي مرة ومرتين أيقنت أن المحبة ليست بالإجبار.

حسنًا سأغادر، ليس لأنني اقتنعت بفكرة الانفصال، لا، فعلت ذلك خضوعًا لرقابتك، فقد عاملتني دائمًا كابنة لك، جاء دور الابنة للانصياع لأوامر أبيها.

الساعة الثالثة صباحًا، بعد آخر حديث لنا كان أول قرار لي، أن أبدأ بدونك حياتي مجددًا، قررت الالتزام بصلاتي أكثر، وبداية حفظ القرآن, خطوة جيدة بالنسبة لفتاة مكسورة الخاطر.

بدأ النهار، لم تفارق بالي ولو لحظة، جاءت الصلوات الخمس، وفي كل دعاء ناجيت الله بأسمائه أن يوفقني في نسيانك، لكن دائمًا ما كنت أختم دعائي بدعوة لك من أعماق قلبي، يبدو أنه تحد صعب.

هل زادت ساعات اليوم، يا إلهي! لا يكاد ينتهي هذا النهار، كنت أنت ووسادتي والضوء الخافت في غرفتي، ورسائل صديقاتي التي ما تكاد تخلو من السخرية والتنمر ، لا تفارقونني.

واخيرًا دق منتصف الليل، تتصل صديقتي لتهددني إذا لم أجتمع معهن الآن، سيمطرن عليك برسائل الشتم والعتاب واللوم، لم ألب طلبها خوفا عليك، لا بل أدركت أنهن لن يستغنين عني مثلك. عدة رسائل من عندك لم أستطع التجاهل، لا أنكر همت أناملي للرد عليك سريعًا، لقد نمت حمدًا لله، على الأقل لست مجبرا لمواجهة مشاعري السخيفة أواخر الليل.

مرت الدقائق كأنها أشهر وأعوام، اشتعل النور، إنها أمي سمعت تنهيداتي الكثيرة، وبكائي الذي بدا يعلو صوته.. ما بكِ؟ ما الذي حدث؟ من أبكاك؟ اقتربت مني وربتت على شعري، زادت كمية الدموع، انقطع صوتي وبدأ الرجفان، لا تقلقين يا أمي أنا أشاهد مسلسلا فقط، أنتم جيل سخيف، فقط مشاهد لا تخلو من الكذب تتحطمون من أجلها، لو حدثت لكم فعلًا ستموتون، يبدو أنني أقنعتها.

آسفة يا أمي فصغيرتك تعيش المسلسل بحذافيره، لكن لا تستطيع جعلك تشاهيدينه. وفعلًا أنا مت أوحي لك أنني على قيد الحياة من أجلك فقط أمي حبيبتي.

علت الأصوات في الخارج، انشغالات الناس والوقت لن يتوقفوا لأجل أحد، يبدو أنني تأخرت في النوم، لكن لما لا أتذكر ماذا جرى لي في الليلة الماضية؟ اللهم دوام هذه الحالة.

الذكريات تعود أدراجها، وبت أستوعب وأتذكر كل التفاصيل بدقة أكثر، آه ليس من السهل نسيان كل شيء.

لا تكاد تكون العاشرة صباحا، هممت لتفقد رسائل الدردشة لعلي ألقى رسالة تطمئن لي البال، من إحدى صديقاتي، فهن الملجأ الوحيد لي؛ ماسحات الدموع، راسمات البسمة.

رسالة جديدة في الصندوق، هيهات ولكن كانت منك، تخبرني عن أحوالك وتناديني بالاسم الذي أعطيتني إياه، تخبرني عن مشاريعك وأنك ستذهب للسفر.

تخبرني أن أعتني بنفسي، وأنك ستراسلني دائمًا، لن تشغلك الزيارات والترفيهات ولقاءات الأصدقاء عني.

ترى، هل تتلذذ بتعذيبي أم أنك حقا لم تتقبل حقيقة انفصالنا عن بعض؟

أدموع الحب محطة سيضع فيها الجميع رحاله؟ سواء كانت مفرحة أو جارحة. لطالما عاندت الصداقة الحب؛ بقولها إنها تجمع الناس لأجل غير مسمى، أما هو فكاسر القلوب والثقة والخاطر، لا يستطيع المحب أن يعيد محبوبه غريبًا كما كان، مهما كانت الظروف سيبقى أثر حبه مدفونا في ذاته يتفقده بين تارة وأخرى.

ولكن للأيام خبايا أخرى، فقد أيقنت أنه منذُ البداية وجدتك لأضيعك، وأحببتُك لأفقدك، فقد التقينا مصادفة وكنا سهمين متعاكس الاتجاه، وكان لا مفر من الوداع كما اللقاء. ما زلت أحدثك بيني وبيني وإن كُنا لا نفعل ذلك حقيقة، فإن أنت تخليت عني واقعًا فخيالك ما زال وَفِيًّا، يُحِبّنِي كما كان وأكثر، أريد أن أخبرك شيئًا واحدًا وأبديا

لا أحد يمكنه لمس قلبي كما فعلت أنت أود إخبارك بأنك لست عابر, فقلبي الذي لا يؤمن بالحب مطلقًا آمن بك أنت لست جزءًا مني أنت اكتمالي ومكملي ثُم ماذا؟ ثُم إنك جار القلب رغم كل البعاد تبقى أقرب من قريب. أحبك رغم صعوبة اللقاء.

فتحية بن زخروفة/ الجزائر

اَلْمُهَرِّج والشيطان

-هَل جننت أم ماذا؟

أنَا فقط أريد منك جوابًا مقنعًا على هذا التغير الذي طرأ بشخصيتك المَرِحة، والمُحبة للحياةِ والآخرين، كنت حنونًا لطيفًا، تُحب الخير، ولكن الآن. أنتَ لا تحمل أي صِلة تربطك بذلك الشخص، بل أنتَ أقبح نسخة منه.

-هل انتهيت؟

لستُ مجنونًا، وأنتَ مُحق، أنَا أسوأ نسخة صُنِعت بأيديكم، ولن أنسى فضلكم هذا، أقسم أنني لن أنسى وستَرون حصاد ما زَرَعته أيديكم بِداخلي.

كَان يَجلس القرفصَاء وعينيه تأبىٰ التوقف عن ذرف دموعها الدافئة، يتضور جوعًا ولا يملك ما يسد جوعه، بدأ جسدهُ يرتعش كُلِّيًّا؛ بسبب شِدة برودة الجَو وملابسه اَلرَّثَّة المُمزقة، حيث أوشكَت اَلسَّاعَة على طرق باب يومٍ جديد، ولكن فيمَا يفيد ذلك، لشخصٍ لا يملك سِوى ذِكْرَيَات مريرة، تمر أمام عينيه الذابلة كَمرور القِطَار؛ أصبحت جميع الأيام يومًا واحدًا، يحمل من الليل ديجورًا سرمديا، قَاوم ضعفه أخيرًا، وخَرَجَ من غرفته الكَئيبة، ورَسمَ ابتسامة زائفة على ثغره، تمحي فكرة ضعفه من ذاكرته تمامًا، أخذ يسير بتروٍّ، ولكنه وجد الطريق خاليًا من المَارة تمامًا، وكأن العَالم هكذا يخبره أنه سيظل فارغًا من الداخل، أبد الدهر، كما الطريق الآن، نوبة من البكاء (الهيستيري)، احتلت جسده، وجعلته ينتفض بشده، بدا كَوطَن سُلِبَت حريته، فاحتله العدو دون مقدمات، وإن تساءلت يا عزيزي عن أي عدوٍ أحكي؛ سأقول لك ذكرياته وأشجانه التي لا تَمِل من مطاردته كل ليلة، هدأ قليلًا، وأخذ يسير بتباطؤ تارَة وتارة أخرىٰ، يجري كالمتسابقين في الماراثون، وكأنه بذلك سيهرب من أفكاره التي ترهقه، وتستنزف طاقته رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، يا له من أحمق.

هدأ قليلًا، وتوجه بخطواتٍ مُرتعشة تِجاه أحد بيوت قريته، طَرَق عدة مراتٍ ولكن لا رد.

ظهرت ابتسامة مُتهكمة على محياه، ثم انتقل إلى باب بيتٍ آخر وفعل الشيء نفسه، ولكن فُتِح الباب ويا ليته لم يُفتح.

تكلم بتلعثم واضح، وبصوت مضطرب بعض الشيء، أعتذر على إزعاجكم، ولكنني أتضور جوعًا؛ ولا أملك ببيتي سِوى بعض الماء، أتساءل... هل بإمكانك أن تعطيني بعضًا من طعامكم، لأصمت به جوعي؟

أجابه الرجل بفظة: لا... وأنا أيضًا فقيرٌ مثلك، أملك أطفالًا صغارا وأَبيتُ أيامًا كثيرة دون طعام؛ لأطعمهم، كِلانا يفقد الشيء نفسه.

بَصق كلماته دفعة واحدة، ثم أغلَقْ الباب بوجهه فَعاد مِن حيثُ أتى، عاد مستسلم لضعفه الذي لا يراه أحدٌ سواه.

في صباح يوم جديد، استيقظ على صوت زقزقة العصافير، وبالتحديد ذلك العُصفور الصغير الذي ينزوي بعيدًا عن أصدقائه "يُدعىٰ جون" وإن كان يقف أعلى كرسي، يبدو من مظهره أنه تقبل صفعات الحياة بصدرٍ رحب مثل مالكه تمامًا، اقترب منه ثم رفعه على يديه، وَقَبْل رأسه وقال له: صباحك لطيف عزيزي الصغير جون، يبدو وكأنك تريد أن تفقد حظك للأبد، ألم أُنبهك مِرارًا وتكرارًا ألا تأتي إلى هذا المكان القبيح البائس؟ فلِما أنتَ هنا الآن، هذا الشخص الذي تراه وهذا المكان الذي أنتَ بهِ الآن لا يَليق بِكَ أبدًا، ثم... لِمَ تختارني بالتحديد لتوقظني كل صباح؟ أنتَ لستُ مُلزمًا بهذا مُطلقًا، أنا فقط أخشىٰ عليكَ من اَلْهَمّ والمصائب التي ستلاحقك بسببي؛ فأنا جالبٌ لِلْهَمِّ والمصائب هكذا قيل لي من أحدهم، وللحقيقةِ أنا مُقتنع جِدًّا بهذا، ارحل واتركني وشأني هذا أفضل لك يا صغير.

أخرج ما بجعبته من كلماتٍ سوداوية، ومن ثم قام بوضعهِ كما كان سابقًا وخرجَ من كوخه المُهترئ، وكما فعل سابقًا، رسم على شفتيه ابتسامة زائفة ولكنها مُشرقة فعلًا.

اقترب بخطواتٍ واسعة من مجموعة من الأطفالِ، وجدهم يتشاجرون على مَن فاز ومَن خسر، حاول جاهدًا أن يفض اَلشِّجَار وأخيرًا استطاع، نظر في وجوههم بابتسامة لطيفة وقال: يكفي، لِمَ الشجار يا لُطفاء؟

كُونوا لُطفاء مسالمين؛ فالشجَار لن يُفيد، فقط سيستنزف طاقتكم، وأنتم بحاجة للقوة، أعيدوا قوانين اَللُّعْبَة مُجددًا واجعلوا منكم حاكمًا وافرحوا ببرودة الصباح اللطيفة؛ فهي لا تأتينا كثيرًا، هيّا استمتعوا بوقتكم.

نظر اَلصِّغَار بعضهم إلى بعض وقالوا في صوتٍ واحدٍ: حسنًا أيها اللطيف سنفعل هذا، ولكن مَعكَ.

ظَلَّ يمرح ويضحك معهم حتىٰ مرَّ عليه ثُلَّة من الناس الذين يعرفهم جيدًا، ألقوا- عليه السلام- وقال له أحدهم: كيف حالك يا صاح؟

أجابه مبتسمًا: في أحسن حالٍ حمدًا لله

باغته أخر ساخرًا: هل ستظل على حالك هذا كثيرًا؟ لِما تجالس الأطفال أيها الكبير العاقل!

نظر له نظرةً ثاقبة وقال: في بعضِ الأحيان مُجالسة الأطفال اَلصِّغَار تُفيد أكثر من مُجالسة الكِبار التعساء، هُم محبون للحياةِ ليسوا مثلك يا عزيزي.

ضحك الأخر ساخرًا منه ونفى كلامه قائلًا: كل... الحياة ليست جميلة كما تراها أيها الأحمق، بل هي سوداوية سرمدية.

ضم شفتيه علامةً على عدم الرضا وقال: لستُ بِحالٍ يقبل نقاشك البائس؛ لذلك اذهب حيثما تريد.

رحلوا وهَمَّ هو أيضًا بالرحيل؛ لِيذهب إلىٰ عمله المُحبب لِقلبه؛ حيثُ إنه يَعمل مهرج في سيرك بعيد عن قريته البائسة، يُشارك الأطفال اَلصِّغَار البسمة ويُلقي على مسامعهم بعض اَلنِّكَات الذي تخلقا ضِحكات رنانة تُبهج القلوب.

وصَلَ حيثُ يعمل، وحينما رآه الأطفال همّوا باحتضانه وتقبيله وهذا يُمثل إنجازًا عظيمًا له، قام بعمل بعض الحركات البهلوانية المُضحكة، وعَمَّ صُراخ الأطفال فرحًا وارتفعت ضِحكاتهم الرنانة.

في آخر اليوم ..

انجلىٰ الوقت بصحبتهم سريعًا، وعاد هو إلى قريته يحمل بعضًا من الخبز والجُبن يكفيه؛ لِضمان البقاء حَيًّا لِيَوْم جديد.

هكذا يعيش يومه، يُخبر يائسا أن الحياة بِها الأفضل، وأنه سيحظى بحظٍّ وافر قريبًا جِدًّا، ويطمئن هذا أن الغَد سيكون مبهجا، وتتشارك النكات مع الأطفال وفي آخر اليوم؛ يعود لِحزنه ووحدته، ولكن لم يستمر حاله هذا، فقد نفذَ صبره، وأجبرته الحياة على حياةٍ تنافر المألوف عنه لدى الجميع.

وفي ليلة زمهريرية ظلامها دامس، أخذ الألم يستول على جميع أجزاء جسده، وليس بجانبه سوى ذلك العُصفور الضعيف الذي يُشبهه كثيرًا، خرجَ متألمًا يطرق الأبواب يشتكي ألم للساكنين؛ ولكنهم ردوا يده خائبة.

ظَلَّ يطرق الأبواب حتى يأسَ وهزمه التعب فَخَرَّت قواه وسقطَ أرضًا، وليس هُناك مَن يُسَكِّن لَهُ آلامه، داهمَته أفكاره السوداوية، ومرت الذكريات التي يبغضها أمامه، وتَعَالَت الصرخات بداخل رأسه وكأن أحدهم يُصلب بداخلها ويصرخ ألم، فاستسلمَ لهَا وأخذَ يستمع لِأصوات الذين يتحدثان بداخل رأسه.

-هل يروق لَك حالك هذا أيها الفاشل؟

لستُ فاشلا؛ أنتَ مَن تريد أن أكون فاشلًا مثلك.

-فاشلًا مثلي ! انظر إليّ جيدًا، أنا قويّ والجميع يخشاني، يستمعون لكل حرفٍ يخرج من فَمِي وينفذونه دون نِقاش، أما أنت، فالجميع يستهزئ بِك أيها اَلْمُهَرِّج الضعيف.

اصمت؛ لستُ ضعيفًا، أنا فقط أخشى على الجميع من الأذى، أُحِب الأطفال وأُحِب ضِحكاتهم، أَحَبَّنِي كوني حنونًا، أبغض القسوة وأكرهك.

-هل أنتَ مُقتنع بِكلامك هذا؟ ألم تفكر مُطلقًا في حديثي هذا من قبل؟ أنا أخشى عليك، الحياة ليست جميلة كما تراها، الأطفال سيكبرون وسينسون تلك الضحكات بمجرد فهمهم لِمصطلح الحياة جيدًا، لِمَ تريد الشقاء لك؟ هل يُعجبك حالك الآن؟! انظر لك الآن، مَن تداوي جروح قلوبهم هُم أول مَن أغلقوا الباب في وجهك أيها الأثول ؛ تركوا لكَ الجراح وأخذوا مِنك البهجة، والآن أخبرني فيما أفادك الأمل وحب الحياةِ، وضحكات الأطفال وأنتَ تموت ألمًا.

هيا أخبرني...

صدر صوته الضعيف هذه المرة وقال والدموع تنهمر من عينيه: لم يفدني في شيء، أعترف أنني فاشل وضعيف، والآن أريد أن أتعلم القوة منك.

رد عليه ذلك الصوت: هكذا أنتَ تعجبني كثيرًا، هيَّا تَحمل الألم أنتَ قوي، قِف.

هَبَّ واقفًا وأخذَ نفسًا عميقًا ونظرَ إلىٰ اللاشيء، وقال: أنتم مَن زرعوا الألم بداخلي وأنتم مَن ستحصدونه شوكًا.

توالت الأيام وتبدلت أحواله تمامًا، وأول ما زرعه في دربه المُظلم الذي سار فيه هو أنه؛ حَملَ ذلك العصفور إلى المدينة وقام بطلقه ، فهو لم يعد يريده ليؤنس وحدته؛ فهو اعتاد عليها بل واتخذها صديقةً له.

أصبح يتجنب وجود الأطفال بجواره، وبات يعامل الجميع بجفاء صغارا كانوا أو كبارا، لم يعد يتحدث كثيرًا وأصبح ينزوي عن الأنظار، تركَ وظيفته وأصبح يفعل ما يروق له دون خوف، رافَق من كان يتجنبهم سابقًا، وأصبح يقضي بعضًا من وقته في إنجاز أعمالهم غير مشروعة مثل سَرِقَة بعض المحاصيل الزراعية وبيعها بأسعارٍ غالية وَأَشْيَاء كثيرة من هذا القبيل.

وفي يومٍ كانت حرارته مرتفعة، خرجَ لِمقابلة أحد أصدقائه الجُدد، وفي طريقه رآهُ أحد شباب القرية والذي كان يُحبه جِدًّا، رفعَ صوته وذكر اسمه عدة مرات ليتوقف هو عن المسير عندما رآه مُقبلًا عليه، حيثُ قال له صديقه: مهلًا يا رجل، لقد وصل صوتي آخر القرية وأنتَ لم تلتفت حتى، هل نسيتني أم ماذا؟

التفت له وقال بنبرة يشوبها الجمود: بلى، الأمر ليس كذلك، فقط لم أكن أعلم أنك تقصدني.

أجابه ببساطة: حسنًا ، أريد محادثتك قليلًا.

رد على عرضه بنبرة قوية لا تقبل نِقاشًا: لا يمكنني محادثتك؛ لأنني مشغول الآن.

قال له مستفسرًا: مشغول بماذا، مشغولًا بمقابلة هؤلاء الحَمقَى الأوغاد؟

عجبًا لك!

قاطعه غاضب: إلى هُنا وكفىٰ؛ هم ليسوا أوغادا، وللحق لا يوجد سِواكم حمقى.

تعجب من حديثه بالفعل وقال له: هَل جننت أم ماذا؟

أنَا فقط أريد منك جوابًا مقنعًا على هذا التغير الذي طرأ بشخصيتك المَرِحة والمُحبة للحياةِ والآخرين، كنت حنونًا لطيفًا، تُحب الخير ولكن الآن... أنتَ لا تحمل أي صِلة تربطك بذلك الشخص، بل أنتَ أقبح نسخة منه.

هل انتهيت؟

لستُ مجنونًا، وأنتَ مُحق، أنَا أسوأ نسخة صُنِعت بأيديكم، ولن أنسى فضلكم هذا، أقسم أنني لن أنسىٰ وَسَتَرَوْنَ حَصَاد ما زَرَعته أيديكم بِداخلي، والآن اتركني وشأني، لقد ذهب الكثير من وقتي في محادثتك سُدى، ولا أريد أن أسمع صوتك مرةً ثانية، فهمت؟

أومأ له بابتسامة ساخرة: فهمت أيهَا اَلْمُهَرِّج اللطيف.

وإلى هُنا انتهى الحديث، باتت علاقته بكل مَن كانوا يحبونه ضعيفة هاشة، بل لم يعد هناك رابطًا يربطهم بعضُهم ببعض، كرههُ الجميع وأصبحوا يخشون غضبه، وَأَدَ شخصية ذلك اَلْمُهَرِّج الضعيف واستسلم لشخصية الشيطان القوي لِتقوده نحو الجحيم.

خديجة محمد/ مصر.

حب مؤقت

حقا لقد ولدت بعد سنين من الغياب، بعد ألف وجع وكومة من الصدمة، وبعد حزمة من العتاب .

سأسرد لكم قصتي وأخطائي الفادحة، سأخبركم ما فعل بيا الحب البارحة..

كنت طفلة لاجئة، باحثة عن كوخ من الحب يلم شتاتي،سرت في الدرب جاهلة ما هوا قادم لحياتي، وككل مراهقة لا تعرف الصلاح أحَبّت شيطانا، ومن يومها لم يطلع عليها الصباح, كانت صدفة حدثت في أيامي العادية.

التقيت به، وكانت محادثاتنا ليلية، يوما بعد يوم، وليلة بعد ليلة حتى دخلت في علاقة غير شرعية، متعة الحديث تزداد، وخيالي يرسم أحلاما وردية، عشقت التفاصيل وبأحاسيسي كنت جدية، أحببت جدا تلك الصفات الموجهة نحوي، وبكل فرحة استقبلها كالغبية، وذات مرة حدثني بلهجتي الجزائرية: "جميلتي أنت حلوة مثل الزَلابِية". (مضحكة كلماته وغزله).

ضحكت حينها و في عينيه أحدق و بثقة، أقول: أنا فتاة استثنائية, لِيُلقي بي في دوامة بعد أن لمحت ابتسامته الخفية.

لا يهم في علاقتنا أكملنا المسير وبعد مدة زمنية أحسست بالتقصير، سألته عن السبب، وبطبيعة الحال لم يكن هناك تفسير!

وبلهجة عنيفة أتلقى الجواب: ما دخلك؟ أنا حر، لست مجبورعلى التبرير.

أصبح اسلوبه صارم وأنا داخل زنزاته كالأسير. تغير كثيرًا، واستمرت هذه المعاملة صرت عاجزة في حل هذه المعادلة، استسلمت وما عدت قادرة على المجادلة .

حاولت، وحاولت، وحاولت الوقوف، ومرة أخرى, الضحية هو قلبي، ولا أكتشف الحقيقة أني طرف الثالث في حياة من أعتبرته حبيبي، نعم... لقد كُسر قلبي كالزجاجة، نزف كثيرا، ولم ألقى علاجه، وإن يقف أمامي راكعا أبداً، لن أغفر ولن أسامحه، لقد أسرفت مشاعري وأحاسيسي، تحملت عناده، غضبه، إهانته، عجرفته، عيوبه على أمل أن يصبح عريسي، لاكنه قطع العهود، وقطع معها نفيسي.

مضت الشهور ولازِلتُ صامتة، وما بعد الصمت ستظهر العاصفة، حاولت التجاوز، وبصعوبة أيقنت أن كل العلاقات زائفة، لم أقوى على العتاب، ولا على الكلام، اكتفيت بهذا القدر من الآلام، لملمت ما تبقى مني وسرت نحو الأمام، سلاماً

على الماضي، سلام، وتمر الاعوامُ لست ما كنت عليه في الماضي، لم أبقَ الضحية بل صرت القاضي، تصَديت للواقع بعيدا عن العالم الافتراضي. نعم تغيرت، فأنا شخصية يهتف باسمها الجميع: قوية، مناضلة، متحملة، لا تحتاج لاي تشجيع ....

بعد مضي السنين، تصلني رسالة مرحبا، كيف حالكِ؟

ورسالة أُخرى:لقد اشتقت لكِ

حقا! ماهذا الهراء! أيظنني بهذا القدر من الغباء؟

وبكل برودٍ أجبته:من أنت؟ آسفة لا أُكلمُ الغرباء.

هديل ساكري /الجزائر.

الكاتبة العاشقة

قَمري تَجلى في بُقعةِ الأكوانِ، وأضاءَ حُلماً مُنيراً وسِراجِ وَهبني طاقةً خفيةً في حُجرةِ الفؤادِ، وأسعد مُقلاً كَسيرةً في ثَنايا الحياةِ.

وَثّقتُ مشاعري في تلك الأبيات الّتي نسجتُها مَشاعري الهَائِجة كأمواجِ تسونامي, مشاعري التي لَم تلقَ استحسانها الذي منحتَهُ إياها ...

نُور تَعاليّ إلى هُنا

قادِمة !

حسناً،

أريدُ مِنكِ تصميم غلاف كتاب إلكتروني، وهذه التفاصيل مكتوبة على الورقة ..

حسناً، لكن اليوم لدي بعض الأعمال رُبما غداً ..

لابأس خُذي وقتَكِ غاليتي !

شُكراً لَكِ.

خَرجتُ مِن منزلي باتجاه الحديقة؛ لآخُذ قِسطاً من الراحة، وصلني عرض؛ لمشاركةٍ بكتاب إلكتروني، بعنوان الحُب مشاعِرنا.

جلستُ على الكُرسي الخَشبي للحديقة وبيدي دَفتري وقلمي، قبل أن أبدا بالكتابة..

تأملتُ الحديقة ..بأشجارها، وأزهارِها العطرة، أزهارِها التي فاح عبيرُها إلى مجرى التنفس الخاص بي ...

تنفستُ تِلك الرائحة، الممزوجة مع رائحة الأشجار بعد ريِّها بالماءِ، ورائحة الياسمين ..

كان شعوراً مذهلًا، كما لو أن بُستانَ ياسمين نمَا داخِل فؤادي العاشق، آهٍ، لو أستطيعَ وصف إحساسي بِرسمة..

بدأت الكتابة، أحسستُ بأن قلبي يكتب معي أيضاً، وليست أفكاري وقلمي فقط ... كتبت عشرين سطراً، على الرغم بأن الموضوع لايجب أن يتجاوز سِوى عَشرِة أسطر لكن قلبي تحكم في عقلي وإدراكي وأنامِلي، قاطع إبداعي المسؤول عن الحديقة قائلاً :الساعة الثامنة, أرجو من الجميع الخروج ..

دُهشت! هل بالفعل مرت أربع ساعات ، وأنا هُنا؟ حتى أن كوب قهوتي لم أرتشف مِنه سوى رشفة ..

ذهبت لمشرفة الكتاب؛ لتسليم عملي ...كان الكتاب يحتاج: يومين؛

لينشر ..أصبحتُ أسأل نفسي : هل جميع الكتاب المشاركين بالكتاب عاشقون مثلي ؟ أو كتبوا مافي قلوبِهم ؟

عدت إلى المنزل، وأعددت الغداء لي كالعادة جلست أتذكره تباً لي لا أستطيعُ نسيانه وهل ينسى العاشِق يوماً؟ ليته ينسى....

في اليوم التالي استيقظت باكراً لدي تصاميم عدة يجب أن أنهيها ..

بدأت بالتصميم واستشارة المسؤولين حتى انتهيت من آخر تصميم ، تصميم كتاب الحب ومشاعرنا ، أبدعت فيه حقاً ، وضعتُ لمساتي الخاصة والقليل من مشاعري أيضاً .. نال إعجاب المشرفات حقاً ما أسعدني !

في اليوم التالي وتحديداً لساعة الخامسة عصراً وصلني خبر نشر الكتاب، سارعت بأخذ نسخة منه، وقرأتها، كان كتاباً لايجب أن يفرط فيه،كتاباً اجتمع فيه جميع مشاعر كاتبات المستقبل وكاتبات العالم العربيّ، قرأتَهُ مراراً وتكراراً، من دون مللٍ أو كلل، لقد أبدعنا، فسلمت أناملُنا، ودامَ نبضها ..وتحقق الحلم حقاً، انتشر الكتاب، أصبح الأكثر مبيعاً، نال استحسان الجميع وبعد أسبوع ذهبت للحديقة مرة أُخرى، رِحتُ أتمشى قبل أن أتفاجأ ..

الشخص الذي أحب يقرأ الكتاب ! الكتاب الذي شاركتُ به ! يقرأهُ، وتحديداً على النص الخاص بيّ، يقرأ وارتسمَت على ثغره ابتسامة ساحرة .. نفس الابتسامة التي وصفتها في الكتاب، وعندها:

توجه بنظره لي، واقترب مِني قائِلاً: أُحبُك يانور، أُحب كِتاباتَك أيضاً، كانت جملة رائعة، رائِعة جداً ...أخذتني إلى عالم الأحلام، عالم الحُب أيضاً، عالم الإيمان بالله وبالصدف ...تماماً كما أؤمِنُ الآن، أ يقرأ الشخص الذي أُحبه هذا النص أيضاً، هذه المشاركة في كتاب حبات بُنّ ...

أؤمن بالصدف التي ستجعله يقرأ كِتاب حَبات بنّ ....

نور الزهراء حيدر/سوريا.

ما زلت أنتظرك حبيبي فأنا حي بجسد ميت دونك

الحب دائمًا وأبدًا، همزة الوصل في الحياة بين المحب والمحبوب، ولكي يتحقق هذا لا بد من تضحيات من الطرفين؛ للوصول إلى المبتغى وهو الجمع بين المحب والمحبوب دون فِرَاقَ.

ولكن في قصتنا هذه التي سنسردها لكم، افترق المحب عن المحبوب.

بدأت القصة في الثامن عشرة من شهر أكتوبر عام ألفين وثمانية، بالتحديد في قرية البهنسا بجمهورية مصر العربية. أبطال القصة محمد- بدرية

محمد البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً، يدرس في الثانوية العامة الصف الثاني عشر، وبدرية ستة عشر عاماً لم تدخل المدرسة للتعلم؛ بسبب ظروف أسرتها.

يعيشون أفضل وأكبر ملحمة رومانسية؛ تنتهي بفراق وألم محبوبين.

بدأ اللقاء الأول، عندما كان محمد يذهب إلى الحقل بصفة يومية مع والده، إد تفاجأ بفتاه جميلة لا يتعدى طولها مئة وستون سم، ذات ضحكة جميلة، وفاتنة، وأسلوب راق في الحديث مع والدها، الذي يقع حقله بجوار حقل والد محمد، بدأ بالتعرف عليها ومحاولة التقرب منها؛ فقرر أن يذهب للحقل لرؤيتها، لقد سرقت قلبه بجمالها ورقتها ولطافتها، بالنسبة له فتاة مثل بدرية لا يفرط بها.

في البداية كان الأمر صعبا؛ لأن طبيعة حياة الصعيد تمنع مثل تلك الأمور، فبدأنا نلتقي في الخفاء، وازدادت المقابلات بيننا في الحقل حتى أصبحنا لا نطيق يومنا دون رؤية أحدنا للآخر.

محمد كان يغار بشدة عليها، فقد أحبها من قلبه وكيف لا يغار عليها؟ وهو يحلم بها زوجة له، وأما عن بدرية لقد كانت تشتعل بالغيرة لو رأت أحدا من الفتيات يحاولن التودد والتقرب من معشوق الروح، لقد كانت رؤيته لمحبوبته تزيل همومه وتسعد قلبه، علامات الخجل لا تفارق وجه محبوبته كلما تغزل يعيناها الواسعة الجميلة.

كانت حبيبة روحه، الداعمة الأكبر في دراسته وعمله والمحفز الرئيسي له، ونتاج ذلك حب عتيق، وشوق ولهفة لا تنتهي إلا برؤية المحبوبين لبعضهم.

ذات يوم، أراد محمد كتابة رسالة غرامية لغزالته، فكتب على ظهر العمله المصرية قيمة الجنيه الواحد كلمات هزت عاطفة بدرية، التي كانت تخجل من إظهارها (أنتي حبي الأول والأخير والبعد عنك عذاب وجنون).

شعرت بدرية أنها تمتلك العالم كله، أشعلت كلماته نار الحب في قلبها، أرادت أن تحلق مع معشوقها بعيداً عن الجميع، بالنسبة لها أصبح كل شيء أمانها ومرسى روحها.

ولكن الطابع الصعيدي والفطرة الصعيدية الممتلئة بالغيرة لم تخل من محمد، ففي بعض الأحيان تبدأ مراسم الغيرة لديه، ولا تنتهي إلا بعناق فريد من محبوبة قلبه، وبعض كلمات الحب التي تجعله يذوب في حبها أكثر.

محمد يهتم بنبض قلبه، فهو لا يترك مناسبة تذهب هكذا. يخبى ء جزءًا من أمواله لمحبوبته؛ ليبتاع الهدايا لها، ويفاجئها، فقط ليرى تلك الضحكة التي تسلب قلبه وتخفي أحزانه، وترمم روحه، وكذلك بدرية تغرقه بالهدايا والكلام الحنون.

يوما بعد يوم يزداد محمد جنوناً بها، غير قادر على انتشالها من قلبه؛ لذلك قرر أن يبتاع هاتفين وبهما شريحتا اتصال نفس الرَّقَم مع اختلاف بسيط بآخر رقمين وقام بإعطاء بدرية هاتفا منهم، وبدأ يتحدث معها كل يوم.

حتي أدمن الحديث معها، وتحول الحب إلى العشق والجنون والهيام بها، ولعله أصاب بمرض أسمه لعنة بدرية.

كان الحب يتجدد كل يوم، وهم يتحدثون عن مستقبل عشقهم وإنجاب أطفال يكملون فرحتهم، وحتى تزداد شرارة الحب، يختارون أسماء لأطفالهم الذين لم يأتوا بعد ، يقول محمد: مصطفى، تعترض بدورها وتقول إسلام ، يردد محمد لا انتظري، جنى. وتنتهي مناقشتهم بضحكات الحب الأبدية.

أربع سنوات، من الارتباط والحب العميق المليء بالحنان والكلمات الرنانة التي لا تنسى ويحن لها القلب، ما زالت مستمرة.

حيث أوشك محمد على دخول الجامعة وتم قبوله في كلية الآداب، وما زالت بدرية المحفز الرئيسي له في كل خطوات نجاحه، حتى حصل محمد على البكالوريوس، وأنهى دراسته بالجامعة.

كانت بدرية تنتظره يَوْمِيًّا لترى وجهه التي وصفته بالنور الذي يضيء قلبها وحياتها، وأنها أصبحت في عالم آخر منذ أن التقت به أول مرة فهي مجنونة به دائمًا، وهو الحلم الأول والأخير لها.

حلم العمر للحبيبين الآن، منزل صغير بعيدًا عن العالم كله، وحدهما فقط للعيش بروح الحب والهيام.

تقول بدرية: كنت عندما أقابله وأنظر في عينيه البنيتين الجميلتين، أرى الحنان، والأمان الصادق، والغيرة التي أحبها؛ فتتدفق نبضات قلبي وسط جلوسنا على الترعة التي يحاوطها الخضرة من كل ناحية، وسط الحقول والزرع في منظر خيالي ريفي مصري.

وبعدما أنهى محمد دراسته، توجه للتقدم إلى أداء الخدمة العسكرية في الجيش المصري, في السنة السابعة التحق محمد بالجيش والخدمة الوطنية كبقية الشباب في مصر، هنا بدأ الشعور بالفراق الأول والحنين والاشتياق، ورغم عدم افتراقهم عن بعضهم خلال السبع سنوات السابقة فهم كانوا يتقابلون بصفة يومية ويتحدثون عبر الهاتف يَوْمِيًّا.

كان العهد بينهم، مهما بعدت المسافات وغاب المحبوب عن العيون فإن المحبوب داخل القلب والعين ولا يمكنها النسيان أو التناسي، ولكن هل ستكسر قنينة العهد؟

دخل محمد الجيش يقضي فترة خدمته وقدرها سنه واحدة، وودع بدرية قبل ركوبه القطار بالبكاء والكلمات القاسية لفراق الحبيب عن محبوبه في مشهد يقطع القلب ويدمي العين، بدأ الأمر له كأن روحه تفارق جسده.

غاب محمد في الجيش مدة أربعين يومًا بعيدًا عنها ولم يكن لديه هاتف ليطمئن عليها؛ فالجيش يمنع الجندي من حمل هاتف.

يقول محمد إنها أصعب مدّة بحياتي فِرَاقَ حبيبتي بدرية، وعدم سماع صوتها الذي كان مصدر طاقة إيجابية وحيوية لي، ولكنني لم أنسها أبدا وأتذكر كلماتها العبقة وحبها الكبير التي غمرتني به، وثرثرتها التي لا تنتهي، وعبوسها عندما يمتلئ قلبها بالحزن. إنني أهوى بدرية، وسأبقى أهواها حتى لو أطلقوا علي لقب مجنون، ولاموني في فرط حبها، سأبقى أحبها, أدعو الله أن يحفظها لي مدى الحياة.

كنت أعد الأيام والليالي والساعات والثواني للعودة، ورؤيتها وسماع صوتها حتى يهدأ قلبي ويطمئن.

دقت طبول العودة في إجازة صغيرة، لم أكن أريد منها سوى رؤية عزيزة قلبي، الشوق يأكل جسدي والحنين يسلب روحي لا أعلم إلا أين سيؤدي بي فرط حبي هذا؟

وصلت بلدتي الساعة العاشرة مساءً، وقلبي يريد الذَّهاب لرؤيتها، وعقلي يقول: الوقت متأخر والذهاب ممنوع، فاستجبت لعقلي؛ كي لا أكون سببا في حدوث مشكلة لها ولي أيضاً، وكي لا يرانا أحد من أهلها أو الجيران، فينتهي حبنا ويبدأ العذاب.

ولحظة لقاء العاشقين المشتاقين في الصباح، اندفع محمد إليها بعواطفه التي لم يستطع السيطرة عليها فخانته عيناه من فرط الشوق وعانقها عناق كادت أضلعهم تختلط ببعضها البعض؛ لكثرة الاشتياق والحنين، دام عناقهم قرابة نصف ساعة بجانب كلمات اللهفة والحنان والحب والرومانسية، شعور لا يوصف.

يقول محمد: بعد ساعة تقريباً هدأت قليلا عواطفنا، وتحدثنا عن الأيام الأربعين السابقة، ماذا فعلنا بها؟ وكيف تخطيناها على أمل أن نلتقي قريبًا؟ فالفراق ينهش جسد العشاق والأحبة، وربما يدمره.

انقضت الإجازة، وسرعان ما انتهت اللقاءات الجميلة، وعاد محمد إلى الجيش والتحق بسلاح المدفعية، وقضى مدته، ونزل إجازة تلو الأخرى، حتى وصل إلى نصف مدته بالجيش وهي ستة أشهر، وحينما عاد من الجيش في شهر أربعة بعام ألفين وستة عشر، صدم بخبر خِطْبَة بدرية على ابن عمتها، وهو الذي كان وعدها أنه سيتقدم لخطبتها والزواج منها عقب انتهاء خدمته بالجيش، راسمًا في مخيلته حياة مستقبلية مليئة بالسعادة في بيت صغير يجمعه معها.

حاول محمد أن يلتقي بها ولكنه لم يستطع، وفشلت جميع محاولاته، ولكن أخبرتكم عن طبيعة الصعيد الحادة وخصوصا في هذه الأمور وعدم إعطاء الفتاة فرصة القبول أو الرفض.

غادرته حبيبته، وبقي له الألم ليعش بداخله والحسرة ترافقه، لا شيء سوى التواصل الروحي بينه وبين سارقة قلبه، قاتلة كل ذرة من أحلامه، والآن يعيش محمد بين نار الجيش وبين عذاب وضياع المحبوبة.

عندما عاد إلى الجيش هذه المرة لم ترافقه كلام محبوبته، بل رافقته الدموع، وآلام الفِرَاقَ، وهول الاشتياق والتراتيل، بمقدار عمق الحب يكون عمق الوجع، وها هو غارق في محيط الأحزان، على أمل عودة معشوقة الروح.

لا تفارق الدموع خديه، كلما تذكر ما قالته له في آخر لقاء بينهم، أحبك يا حبيب الروح، أرجوك لا تسمح لأي أحد أن يسرقني منك.

أصبحت حياة محمد أشبه بالجحيم لا شيء يكسوها سوى السواد الدامس، والظلام، ويستمر في إنشاد أبيات حزينة.

أبلغ عزيز في ثنايا القلب منزله أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه وإن طرفي موصول برؤيته وإن تباعدا عن سكناي سكناه يا ليته يعلم أنى لست أذكره وكيف أذكره إذ لست أنساه يا من توهم أنى لست أذكره والله يعلم أنى لست أنساه أن غاب عني

فالروح مسكنه من يسكن الروح كيف القلب ينساه ومن شدة حزنه وملامحه الحزينة التي ظهرت على وجهه، شعر أصدقاؤه بالجيش أنه في حالة سيئة، لذلك ربت أصدقاؤه على كتفه، وحاولوا مساعدته لتخطي محنة الألم...

عاش على أمل أن يتم فسخ الخطوبة، ورجوع محبوبته إليه ولكن ما هو مكتوب لا يتغير، وكتب عليهم الفِرَاقَ النهائي، حيث أعلن الزواج يوم عشرين مايو سنة ألفين وست عشرة قبل خروجه من الجيش، وانتهاء المدة بعشرة أيام فقط، بالرغْم أن محمد كان على وشك أن ينزل إجازة، ولكن عند علمه بموعد الزفاف أخبر قائده أنه لا يريد هذه الإجازة، وبقي يبكي ثلاثة أيام متتالية حتى أرهق، وأصبح بحالة يؤثر لها.

انتهت مده الجيش، وخرج محمد للحياة يعاني آلام الفِرَاقَ ،يبحث عن ما فقده يكلم الأماكن والطرقات التي كان يرى فيها بدرية، ويعاتبها على وجع قلبه الذي قد يؤدي به إلى الموت ومفارقة الحياة.

بعد حب دام قرابة الثماني سنوات افترق المحبوبون، حتى الآن محمد ينتظر محبوبته على أمل اللقاء.

محمد إبراهيم الشناوي / مصر.

نور الفتاة الجريئة

في أحد الأحياء القديمة للجزائر العاصمة وبالتحديد في منزل نور، استيقظ جميع من في المنزل، واستعدوا لكي يبدأوا يومهم الجديد. جهزت نور نفسها من أجل الذهاب إلى المدرسة، وبعدها نزلت إلى الأسفل، فوجدت عائلتها قد اجتمعت على طاولة الأكل وكانوا ينتظرونها؛ من أجل أن يبدأو فطورهم.

نور: صباح الخير.

رد الجميع بصوت واحد: صباح النور. وبدأوا في تناول فطورهم، وبعدها توجه كل واحد إلى وجهته، حيث ذهب أبوها إلى العمل في دكانه وتوجه أخوها عبد الله إلى العمل في إحدى الشركات، أما نور فقد ركبت حافلة النقل المدرسي، وانطلقت هذه الأخيرة متوجهة إلى الثانوية.

عندما صعدت نور إلى الحافلة، وجدت صديقتها المقربة ابتهال جالسة بجوار النافذة، فذهبت وجلست بجانبها بعد أن ألقت عليها السلام، وأخذا يتكلمان ويضحكان حتى وصلا إلى المدرسة.

بعد أن وصلت الحافلة إلى المدرسة، ترجلت نور وابتهال منها، وإلتقيا بزميلاتهن في الصف وتوجهوا بعدها معا إلى القسم.

بعد مرور عدة ساعات خرجوا من القسم ثم من المدرسة بأكملها، وتوجهوا إلى الحافلة الذي سينقلهم إلى منزلهم، ولكن نور لم تُرِدْ الذهاب معهم؛ لأنها أرادت أن تتمشى قليلًا، بعدها ستذهب إلى البيت.

كانت نور تودع ابتهال أمام الباص، فأخبرتها هذه الأخيرة عن شعورها بعدم الارتياح لذهابها للمشي وحدها وطلبت منها أن تذهب معها، ولكن نور أصرت على أن تذهب وحدها؛ فهي تشعر بضيق شديد وتريد الجلوس مع نفسها قليلا.

ابتهال: ولكنني قلقة عليك كثيرًا؛ خصوصًا أنت تعلمين أن هذه الأماكن غير آمنة، وتعرف بمخبأ العصابات.

ربتت نور على كتفها وقالت: لا تخافين يا عزيزتي؛ سأكون بخير، فأنا لن أقترب من تلك المنطقة، ثم غمزت لها وأضافت.

. نور: كما أنه معروف أيضا بأنني فتاة شجاعة وتحب المغامرات، ابتسمت لها ثم قبلتها على خدها، وغادرت وهي تلوح لها بيدها. أما ابتهال فقد ركبت الحافلة وهي تدعي في سرها، أن يحفظ الله رفيقتها الوحيدة "نور".

أما نور فكانت تمشي دون هدف ولا تعلم إلى أين هي ذاهبة؛ فقد كان عقلها مشوش فهي لا زالت لم تستوعب ما سمعته في الليلة الماضية عندما كانت متوجهة لغرفتها من أجل النوم، سمعت أمها وأبوها وهم يتحدثون عن رغبتهم في ترك المنزل والانتقال إلى مكان آمن؛ فهم في هذه المنطقة مهددون من خطر العصابات. ولكنها لا تدري، لماذا تشعر بالضيق من كلامهم؟ حيث كان يجب عليها أن تفرح؛ لأنها ستتخلص من الخوف الذي كان يجتاحها منذ أن سكنت العصابة هذه المنطقة. ولكنها من جهة أخرى لا تريد أن تفارق منزلها الذي ترعرعت وكبرت فيه، ولا تريد أيضا مفارقة صديقتها وزميلاتها وكل من يسكن هذه المنطقة، إن مجرد التفكير في الأمر يحزنها، كانت تمشي وهي تتذكر ذكرياتها وطفولتها التي عاشتها هنا ومغامراتها مع أطفال هذا الحي، ابتسمت نور لمجرد تذكرها لتلك المغامرات، فقد كانت فتاة مشاغبة.

مرت نصف ساعة تقريبًا ونور تمشي دون وجهة محددة، فقد كانت تشعر بأفكار متضاربة في عقلها، وكان عقلها مشوشًا للغاية، ولا تعلم أين هي الآن؟ وكيف ومتى وصلت إلى هنا؟

أفاقت نور من شرودها على صوت صراخ وقد كان قريبا جِدًّا، نظرت إلى الأمام لتجد أشخاصاً ملثمين يجُرّون رجل خلفهم، وكان مكبل اليدين ووجهه مغطى بالدماء وملابسه ممزقة؛ يبدو أنه قد تعرض لضرب مبرح.

فزعت نور من هول المنظر وخافت كثيرًا من أولئك الملثمين، ولحسن حظها أنهم لم يروها؛ فقد كانوا مشغولين مع ذلك الرجل المسكين.

شعرت نور برغبة في اللحاق بهم، واكتشاف ماذا سيفعلون بذلك المسكين؟

بعد أن دخل أولئك الرجال في شارع ضيق يحتوي على منازل قديمة ومهترئة ونصفها مهدم، تبعتهم نور خِلسة، تختبئ كلما شعرت أنهم سيستديرون لرؤية إذا كان قد تبعهم أحد، وهكذا حتى وصلوا إلى بيت بعيد مهجور يبث الرعب في قلوب ناظريه، دخلوا إليه ولكنهم تركوا الباب شبه مفتوح، فوجدتها نور فرصة لمعرفة ما يدور في الداخل، اقتربت من الباب ببطيء شديد وقربت أذنها من الباب ولكنها لم تسمع شيء، فاقتربت أكثر لتنظر من فتحة الباب فلم ترى شيئًا غير الظلام، فخافت في البداية وقررت التراجع، ولكنها استجمعت قواها وتشجعت وقررت إكمال ما بدأت به، فربما ستكون السبب في إلقاء القبض على هؤلاء الأشرار والتخلص منهم. قامت بدفع الباب قليلًا وأدخلت رأسها كذلك لم تجد شيء، فاندفعت نحو الداخل ووجدت المكان هادئ، فظنت أنها أخطأت المكان، ولكن سرعان ما أزالت هذه

الفكرة من رأسها؛ فقد كانت متأكدة أنهم دخلوا إلى هنا. بعد مرور بضع دقائق، لمحت نور سجاد قديم على الأرض يخرج الهواء من جوانبه فقامت برفعه، ووجدت باب خشبي؛ فارتعش جسدها ولكنها تشجعت وأخذت نفسا عميق وقامت برفعه، فوجدت سلم نزلت فيه، ثم وجدت طريق يؤدي إلى غرفة كان بابها عبارة عن ستائر بلاستيكية سميكة تتدلى من السقف، وفي جوانب الممر يوجد كذلك غرف أبوابها حديدية، أخذت نور تتمشى في الممر بهدوء وبحرص شديد، ولكنها سرعان ما اختبأت في أحد الغرف التي كان بابها مفتوحًا؛ بعد أن سمعت صوتًا قادمًا من الغرفة ذات الستائر البلاستيكية، ولكنها صدمت عندما دخلت إلى الغرفة، حيث وجدت جثث مجمدة، فعلمت أن تلك الغرف الجانبية لم تكن إلا غرف حفظ الجثث.

تقدمت نور نحوهم بخطوات متباطئة يشوبها الخوف وألقت نظرة عليهم، ولكنها لم تحتمل ذلك المنظر؛ فابتعدت بسرعة، وكاد أن يغمى عليها لولا تماسكها، ثم بدأت في الرجوع إلى الخلف محاولة الخروج، وفي هذه اللحظة وعند رجوعها إلى الخلف ارتطمت بشيء كان ملقى على الأرض، فأحدثت ضجة سمعها كل من كان في الخارج، وعندما انتبهت نور لما فعلت ركضت باتجاه الباب محاولة الهرب، ولكنها سمعت أصواتا تقترب فعادت أدراجها واختبأت في إحدى الخزائن الفارغة في تلك الغرفة وكانت ترتعش بشدة، وفي هذه الأثناء دخلا رجلان إلى الغرفة، ولكنهما لم يجدا شيئًا، بعدها خرجا وأغلقا الباب خلفهما.

تنفست نور الصعداء بعد تأكدها لغلقهم الباب، ثم أخرجت هاتفها من محفظتها بأيادي مرتجفة، وفورا اتصلت على أمها، لترد عليها هذه الأخيرة بصوت يشوبه القلق والخوف: أين أنت يا بنيتي ؟ ولماذا تأخرتي ؟

قاطعها نور وهي ترتعش وأخبرتها أنها في ورطة، ويجب عليهم الاتصال بالشرطة؛ لأنها خائفة، وأعطتها العنوان ثم أغلقت الخط؛ خوفًا من أن يكشف أمرها. بعدها خرجت من الخزانة ببطيء شديد ثم خرجت من الغرفة وهي تلتفت يمينًا ويسارًا، وعندما لم تجد أحدًا ركضت باتجاه المخرج لكي تتخلص من هذا المكان المخيف، إلى أن استوقفها صراخ؛ ارتعش كل جسمها على إثره، فعادت أدراجها إلى مصدر الصوت لترى ما الذي يحدث؟ لتفاجئ من أن مصدر ذلك الصوت؛ هي تلك الغرفة ذات الستائر البلاستيكية، اقتربت ببطيء من تلك الغرفة وأبعدت تلك الستائر قليلا لتتسع حدقة عينيها بعدما رأت ذلك الرجل المسكين الذي رأته قبل قليل برفقة أولئك الأوغاد، ولكن السيئ في الأمر هو أنهم لم يكتفوا بتعذيبه فقط، بل إنهم يقومون بنزع كليته وهو على قيد الحياة، وهذا ما جعل نور تطلق شهقة عالية، جعلت كل من في تلك الغرفة يسمعها، وبعد أن انتبهت إلى ما فعلته ورأت أولئك

الرجال قادمين نحوها، أسرعت باتجاه الخارج وهي تدعي في سرها أن تكون الشرطة في طريقها إليهم، كانت نور تركض بسرعة، وأولئك الرجال يركضون خلفها إلى أن خرجت أخيرًا من ذلك المنزل لتكمل ركضها إلى الطريق الرئيسي، وهنا وصلوا إليها، وذهب أحدهم وأمسكها من ذراعها، وقال لها: أيتها اللعينة كيف تتجرئين وتتجسسين علينا؟ أقسم لك أنني سأجعلك تندمين على يوم ولادتك، أنا لست من يتجسس على أطفال حثالة مثلك.

كانت نور تبكي بصمت، وهي تلعن الساعة التي قررت فيها المجيء إلى هنا، وهنا سمعت صوت صافرة الشرطة، لتبتسم في سرها وهي تحمد الله.

حاوطت الشرطة كل الجوانب، بحيث صار كل أولئك المجرمين في الوسط، بعدها أشارت أسلحتهم نحوهم وطلبوا منهم الاستسلام، ركع كل الرجال بحكم أن أسلحتهم عبارة عن أسلحة بيضاء على عكس الشرطة الذين كانت أسلحتهم عبارة عن مسدسات، لكن الرجل الذي كان ممسكًا بنور لم يستسلم، وقام بوضع سكينه على رقبتها وطلب منهم رمي أسلحتهم وإلا قتلها، لكنهم لم يستجيبوا له، وقام أحد الرماة بإطلاق رصاصة إلى كتف نور متعمد؛ وذلك لكي يختل توازن نور وتسقط، وبالتالي يبقى ذلك المجرم وحيدًا ويستطيعون القضاء عليه، وكانت هذه الخطة ناجحة وقاموا بالإمساك بهم جميعًا، بعدها أتت سيارة الإسعاف من أجل نور، لكن جرحها لم يكن بليغًا، فذلك الشرطي تعمد أن لا يصيبها مباشرة، وكان جرحها مجرد خدش صغير.

وهكذا أصبحت نور حديث كل الناس بعد أن كان لها الفضل في الإمساك بتلك العصابة وتخليصهم من شرورهم.

أميرة بن عسكر/ الجزائر

العوض

ذهبتُ إلى خِطْبَة ابنة عمتي كنتُ آخر من يصل إلى الحفلة، سلمتُ عليها وجلست بجانب أبناء العائلة المقربين لسني، ضحكت واستمتعتُ كثيرًا ولحظات، حتى اقتربت مني عمتي؛ لتثير أعصابي وتغضبني. قائلة: عزيزتي، متى سنفرح بكِ.

تحدثت بعد أن نظر إلي الجميع بحزن، حاولت أن أخفيه بضحكه خفيفة: عندما يأذن الله عمتي حبيبتي.

ألقت على مسامعي كلمات سامة دون أن تأبه لمشاعر ابنة أخيها.

ثم رددت، قائلة: كيف يا عزيزتي؟ لقد أصبحتِ في السادسة والعشرين، بنات أعمامك وعماتك، أصغر منكِ، وأصبح لديهن طفلان أو أكثر.

صمتُ ثم ابتسمتُ على الرغم من قلبي المكسور وأسرعت قائلة: أنا لست حزينة يا عمتي، ولا أفكر بموضوع الزوج في الوقت الحالي.

نظرت لي بقرف، كأنها تخبرني يا لك من كاذبة، وخاصة إنها لم تقدر على إغضابي، ولكنني كنتُ أحترق بداخلي، ولكنني تظاهرت بالقوة كي لا يشفق علي أحد.

رددت قائلة: أنا كنت خائفة عليكِ عزيزتي، ثم نظرت لي بكل شر وتركتني ورحلت.

نظرتُ لمن يجلس على الطاولة وجدتهم ينظرون لِيِ نظرات شفقة مزقت قلبي، ولكنني تركتهم وعدت إلى بيتي خاصةً إلى غرفتي، عالمي الخاص المليء بالحزن والقهر، كان يحدث هذا وأكثر في كل مرة أذهب إلى مناسبة عائلية، حتى الغرباء كانوا يلقون على مسمعي كلامًا جارحًا وأنا لا أرد إلا بإجابة واحدة: هذا نصيب.

ولكن بعد هذا اليوم قررت أن أرد بطريقة تجعل الجميع يصمتون إلى الأبد.

أتى يوم الجمعة حيث تتجمع العائلة كُلّهَا في بيت "جدي"، ذهبتُ مع أمي وأبي إلى هناك، جلسنا نمزح ونضحك ونتحدث في جو عائلي لطيف يحبه الكثير باستثنائي، لأنني كل مرة نجتمع لا أسلم من حديثهم عني.

أردفت عمتي: لم يأت لابنتكم مروة أي عريس يا سهير.

أجابت أمي: لا، أدعو لها.

فأجابت عمتي الثانية: لا تحزني يا مروة، وأنت يا سهير ابحثي لابنتك عن زوج صالح حتى لا تبقى في بيتك تحمل لقب عانس أو قد تكون ابنتك واقعة في حب شخص ما وتنتظره؟

قالت كلماتها الأخيرة بقلب خال من المشاعر بسخرية وإهانة، تطعن بشرفي وكرامتي، قد كان قلبي ينزف، كأن أحدًا طعنه بخنجر مسموم فأردفتُ: أصبحتُ في السادسة والعشرين من عمري ليس الستين يا عمتي حتى أصبح عانسا، ولم يجب على أن أتزوج في العشرين حتى لا أصبح عانسا، من وجهه نظرك أنتِ وبعض الناس لو فعلتُ هذا لم أكن سأفرح بأني أصبحتُ مطلقة ومعي طفلين مثلما فعلت ابنتكِ، ولستُ أشمت بها بل أن قلبي يرقُ لحالها هي وأبنائها، طريق حياتي أطول من خيالي وخيالكم جميعًا، أنا لدي أحلام وطموحات.

فإني وردة في عز ربيعها ونعم أنا أنتظرُ شخصًا معينًا، أنا أنتظرُ شخصًا يحبني مثل حب الرسول للسيدة عائشة, يحملني في ضيقي ومرضي، أنا أنتظرُ شخصًا يحترمني ويحترم أحلامي شخصًايحبني فوق الحب حُبًّا، سوف أنتظرُ حتى يأتي.

نظروا لي جميعًا بينما أنا تركتهم وانصرفت، وللمرة الأولى الذي كان قلبي يرقص فرحًا بأني تحدثت وقلت ما بدخلي...

عدت إلى بيتي وأنا أدعُ الله أن يأتي هذا الشخص بعد أن مر أكثر من شهر، أتت أمي إلى غرفتي وقالت لي: يوجد شاب يطلب منكِ الزواج، أتقابلينه؟

كانت معاملتها جافة منذ أن تحدثتُ بهذه الطريقة مع عماتي

قلتُ:"حسنا، كما تريدين

قالت: حسناً، فلتجهز نَفْسك لتقابليه في المساء.

لم أتوقع أن يأتي هذا اليوم بهذه السرعة, جاء الليل وذهبت إلى الغرفة الذي يجلس بها هذا العريس, لم أنظر إليه، كنت أنظر أرضًا حتى قال أبي: سوف نجلس في الخارج؛ لتتحدثوا.. البيتُ بيتك يا ولدي.

خرج الجميع، وظللت صامتة حتى قال هو: كيف حالكِ؟

قلت باستحياء: الحمد لله

قال هو: حسناً، أعرف أنكِ خجولة، اسمي هو أحمد وأتمنى أن تكونى زوجتي وما تريدينه سوف يحدث، أنا أعمل بخارج البلاد عندما نتزوج سوف تأتي معي.

قلت وأنا أنظر إليه: نتزوج، لماذا هذه العجلة؟

قال بحزن: أنتِ لستِ موافقة

أردفتُ باستفسار، متسائلة عن سبب هذا الحزن: لا ليس هكذا، اعتقدت ستقوم بسؤالي عن حياتي.

أردف هو: مثل ماذا؟

قلت باندفاع: لماذا لم تتزوجي حتى الآن؟

تنهد هو بعمق، ثم أردف بحزن: أنا جئت لكِ أعترف لكِ بشيء واعتذر عن شيء.

نظرتُ له باستفسار، فأجابه: أنا أحمد، كنت معكِ في الإعدادية لم أعرف سوف تتذكرينني أم لا لكن ليس موضوعنا.

أنا أُحبكِ منذ سنين حينما رأيتك أول مرة بداخل المدرسة، لكن أبي كان عليه الذَّهاب إلى العمل خارج البلد فسافرنا ولم نعد غير هذا الأسبوع، وكنتُ أعلم عنوان بيتكِ فجئت صباح اليوم إلى والدك.

بكل تأكيد عرفته فهو كان يلفت نظري بتفوقه، كنت أنظر بكل مكان بالحجرة، إلّا عيونه.

أحمر وجهي؛ لأنه أول اعتراف لي في حياتي فأردفت: عن ماذا تعتذر

قال هو بحزن: لا تغضبي أرجوكِ

نظرتُ إليه باستغراب، فأكمل: من حبي لَك كنتُ أخاف أن تتزوجي غيري، فظللتُ أدعُ الله؛ ألّا تتزوجي حتى أرجع وأتزوجكِ أنا.

كنتُ سعيدة لما قال ولم أحزن أبدًا..

قلت ممازحة إياه: وأنا كنت أقول لنفسي: لماذا لا يأتيني أحد؟ حتى لو جاء فأنا كنت حينما أنظر إليه أجده مثل القرد.

ضحك هو وقال: أنا آسف، لكن لم أفرح حينما آراك تتزوجِ من غيري

قلت بضحك، أنا الأخرى: لا تتأسف يا رجل، فأنا أيضًا أحبك وكنتُ أنتظر...ماذا أقول أنا.. يا إلهي..

وخرجتُ ركضًا من الحجرة، بعد أن ضحك على منظري وعلامات الفرح لا تفارق وجهه.

وبعد مرور خمس سنوات، كنتُ قد تزوجتُ من أحمد ولدينا «علي»، لم يرزقنا الله بأطفال غيره؛ لكنني راضية.

وعلمتُ أنني على حق، كان يجب عليّ أن أنتظر حتى لو انتظرت طيلة حياتي، لم أندم ثانية على عدم تأخر زواجي، بل كنتُ سأندم لو لم تكن أنت عِوَض لِي.

شروق وليد / مصر.

النية الحسنة

كان هناك رجل حَسَنُ الخُلُق، صاحب نية حسنة، يعيش في قرية يحبه الجميع، مشهور بكل أحاديثه وقصصه، الذي عندما يتحدث مع شخص ما يقوم بسردها له، كانت مهنته بائع الماء في كل الأسواق، وكان في تلك القرية التي يعيش فيها قائد تلك القرية، إنسان لا يحب الظلم أبدًا وظريف.

فلما علم بقصة بائع الماء والراوي للكثير من الحكايات، قام بندائه فورًا من طرف الوزير؛ ليحضر لديه، ويعمل عنده، ويقوم بتوزيع المياه على ضيوفه وعليه، ويحكي لهم قصصه المشهور بها ومع المدة اكتسب جميل بائع المياه، محبة ذلك القائد، فبدأت الغَيْرَة والحسد تتدفق من الوزير، ولينتهي منه؛ قام بالذهاب عند جميل، وقال له: السلام عليكم. ما رأيك أن نذهب لتناول الطعام معًا؟ وذهبوا هما الإثنين، وقاموا بتناول طاجين كأكلة لهم، ومن بعدها أحس جميل، بأن الوزير يريد أن يقول له شيء، فقال له: هل تريد قول شيء؟ فقال الوزير: نعم، كيف علمت ذلك؟ فقال: من تصرفاتك، فقال له الوزير: أنت لست الرجل صاحب الحكايات... وإنما صاحب معرفة كبيرة في تصرفات الإنسان.

فقال له جميل: ماذا تريد؟

فقال له: في الحقيقة؛ القائد يشتكي من تصرفاتك في الكلام، وتتحدث بطريقة كأنك تريد التحكم فيه، والأفضل أن تغير طريقة كلامك معه، وأن لا تتحدث معه كما كنت تتحدث مع أمثالك.

فغضب جميل، وقال: حسن؛ سأحاول.

وفي اليوم الأخر، ذهب جميل، وعلى وجهه علامة من علامات الحزن والغضب، فقال له القائد: ما بك؟

فقال له جميل: لماذا لم تقلها لي وقلتها للوزير؟ لماذا لم تخبرني بأن تصرفاتي سيئة، وتثير إزعاجك؟

فقال القاضي: كيف؟ لم أحدثه بشيء، ولو أردت التحدث؛ سأتحدث معك، فأنت خفيف، ودخلت لخاطري بسرعة، ودائما تقوم بإدخال الفرحة والسرور علينا.

ففجأة أتى الطباخ، فقال للقائد: كذلك أنا أخبرني الوزير، أن الأطباق التي أصبحت أحضرها ليست كما قبل، علمًا بأنني لا زلت على نفس طريقة الطهي القديمة.

فقال القائد: أعتذر نيابة عن الوزير، كيف كلفته نفسه بالكذب عليكم؟

نعم إنها غيرته منكم، فقام بندائه، فلما أتى ورأى كل من كذب عليهم، تفاجأ، وقال بدهشة: اذهبوا بسرعة لأماكنكم.

فقال القائد: تريد أحد مكاني بكلامك هذا، كيف كلفتك نفسك بالكذب؟ يا لك من مخادع! من اليوم لن تبقى الوزير، ولا رئيس الطباخين، فقام بإعطاء منصب الوزير لجميل، ورئيس الطباخ لذلك الطباخ الماهر.

دُهِشَ الوزير القديم قائلًا: أعتذر، كيف سأذهب بهذه السرعة من مكانتي؟

قال له: لو كنت تعمل قيمة لمكانتك؛ لبقيت وزيرًا، يا لك من شخص مخادع؛ فأعطاه منصب جميل، بسبب خداعه هذا، وغيرته.

فالعبرة، حسن النية، والرضا بما يملك الإنسان؛ هو سبب لحصوله على أكثر بإذن الله، أما الخداع والمكر للوصول إلى شيء أكثر يؤدي غالبا لشيء أقل.

هيبة كوادر/ المغرب.

الدموع السجينة

مع نسمات الصباح الباردة، وأصوات زقزقة العصافير،كان الجميع ممسكين بأكواب من الشاي، يرتشفونه مع بعض قطع البسكويت، كنت أنا مستلقية على سريري، وأتصفح في هاتفي، قبل أن تزعجني المكالمات الصباحية.

آه لكم؛ أزعجتني تلك المكالمات الكثيرة، كنت أرد عليها مرغمة، ولكن لا أحد يعرف كم هذه المكالمات التي تأتي في غير أوقاتها؛ مزعجة لدرجه تحبس الأنفاس، حينها هممت أن أذهب، وآخذ حماماً دافئًا؛ لعلّ أستعيد روحيا وشتاتي، روحي التي لطالما كانت تائهة، متعبة، ممزقه، تعاني من الألم؛ الذي لا يشعر به سوى من يمتلكه.

تلك الروح التي كانت تحاول جاهده؛ ألا يلاحظ شخص أنها متعبة، بعدما تجاوزت كل شيء.

أخذتُ نفسًا عميقًا، وكانت بقربي مرآة، دون تفكير التقطها، وأخذت أسرح في عينيّ، فبت أخاطبها، كانتا عينين صغيرتين، ولكن رغم صغرهما، كانت مليئة بأمواج من الدموع، التي تريد أن تخرج؛ ولكنها مكبوتة؛ بسبب صاحبتها، التي لا تريد أن يرى أحدهم دموعها.

خاطبت تلك العينان سيدتها: لماذا لا تريدين مني أن ألتقط أنفاسي، التي لا أستطيع أخذها، بسبب هذه الدموع المكبوتة؟

فأجابتها سيدتها: اعلم من هذا أنك تعاتبينني، أو تريدين أن يظن الناس إني ضعيفة، أو يقولون إنها كثيرة البكاء.

أتظنين يا عيني؟ إنك الوحيدة التي تعانين، هل سألت هذا القلب الذي ما زال ولا يزال يتحمل الألم؟ هل سألت هذا العقل، الذي كان ينهكه التفكير يوميا؟ هل سألت هذا الجسد المتعب، والمكتئب؟ الذي لطالما عانى من الإنهاك، والتعب، والمرض.

لا يحق لكِ أن تشتكي، لملمي شتاتك أيتها العينان، واصمدي، لقد أوشك علي التحرر من هذا العالم البائس.

تلكما العينان، تحتاجان لدافع قوي، يجعلها تذرف دموعها، ولكن سيدتها كانت هي من يمنعها، وفي يوم من الأيام، وهي جالسة لوحدها، وبين يديها هاتفها ويحيط بها مئات من البشر، ولكنها لا تعطي اهتماما لأحدهم.

كانت غارقة في أفكارها، التي لطالما كانت تستنزف كل طاقتها.

كان التفكير بدراستها؛ أكثر ما يشغل بالها، تحمل بين يديها أوراقها، التي يجب عليها أن تدرسها، ولكنها لا تستطيع؛ لأن نفسيتها محطمة.

سألت مخاطبة نفسها: هل يجب على أن أدرس، أم انتظر إلى حين أن تستعيد روحي حيويتها؟ ولكن إذا لم أقرأ؛ سوف تتراكم علي دروسي.

بعد جهد كبير من التفكير، وصلت إلى حل، وهو أن تمسك هاتفها، وتكتب، لم تقرأ أخذت تكتب فقط.

كانت بجوارها صديقتها المقربة، التي ذهبت تدرس وحدها بعد ما استشارتها، هل تريدين القراءة؟ ولكنها أجابت، بالرفض لذلك تركتها صديقتها وحيده، وانفردت بنفسها تقرأ.

أخذت تكتب، هل تعرفون عن ماذا كتبت؟

كتبت عن الصعوبات، التي عانت منها، عن تلك الدموع التي لا تستطيع أن تحرر، عن السهر الذي جعل السواد يهيم بين عينيها،

عن جسدها الذي كان ينهكه التعب، ويفتقد الراحة، والنوم.

كان بجانبها شخص، ولكنها لم تكن منتبها له، كانت هي تكتب، وهو يقرأ ما تكتب، ثم اكتشف، أن هذه الفتاة بداخلها ألم، ولكنها لا تعطيه مجالا ليتحرر، قام مخاطب لها: اعذريني، ولكن، هل يمكنني أن أمنحك نصيحة؟

قالت له: تفضل؟

قال لها: لا تجعلي ظروفك، وتجاربك المؤلمة، تخلقا منك شخصا قاسيا على نفسه، وعلى كل من حوله، لا تجعلينها تحطمك من الداخل، وتجعل منك شخصا يائسا.

الخذلان، الخيبات، الموت، الهجران، السفر، الخسارة، المرض، الفقد، الوحدة، الظلم، القهر, إلخ...

كل هذه الأشياء، تحدث لكل أحد بيننا؛ لأن هذه "دنيا"، هي أشياء طبيعية لحدٍ ما، نعم، مؤلمة! ولكنها تحدث بقصص مختلفة، كلا منا لديه قصة، لديك خياران إما أن تعتبري تلك الأحداث مدرسة تتعلمين منها، ومؤكد أنك سوف تخرجين بشخصية مختلفة وقوية.

وإما أن تعتبريها نهايتك، وتستسلمين، ولكن أيضا سوف تخرجين بشخصية مختلفة، ولكن سلبية، ويمكن أن تهلكي وتضيعي يا صديقتي.

الألم يتطلب الشعور به، لكن يوجد حد فاصل بين الشعور بالألم الذي من الممكن أن يكون مستمرا للأبد، وبين تأثير إحساسك على من حولك، يجب عليك أن تفصلي بين الأشياء، لست الوحيدة المبتلاة، نحن كلنا في طاحونة واحدة اسمها الحياة.

لذلك أطلقي العنان لنفسك، واجعلي تلك الدموع المكبوتة بداخلك، وكل هذا الألم أن يتحرر.

ماذا أخبركم عن هذه الفتاة؟ أو عن ذلك الفتى الذي أثر كلامه بشدة على هذه الفتاة، وجعلها دون أن تشعر أن تذرف دموعها، وتبكي بصوت عال، وكانت هذه اللحظة التي أخذت فيها تلك الدموع حريتها، وانهمرت بكل غزارة.

دعاء إبراهيم / السودان.

كل شيء يبدأ من العائلة

لا زال حديث الطبيب النفسي لا يغادر عقلي ، هل فعلا كان خطئي ابنتي كارا؟

لنعد بالأحداث قليلا، كارا فتاة في عمر الزهور، لكن يبدو أن نَفسِيتها تجاوزت عمرها بكثير، ما السبب؟

تقول كارا: لقد كانت هذه الفترة من حياتي هي الأسوأ، أبحث عن الأمان والاهتمام والإصغاء في المكان الخاطئ كنت أبحث عنهم في ذئاب، ذئاب تحسسك بالأمان في الوهلات الأولى؛ كي تصل إلى القُرب الذي يصبح بإمكانها فيه اِفْتِرَاسك.

كُنت أبحث خارجا عن ما افتقدته داخل منزلي، كانت أمي تبحث عن نتائج دراساتي في أعلى القائمة ثم توبخني إن لم تكن كذلك والمؤذي في الأمر أنها لا تساندني في أيام ذلك المشوار، كيف تريدين إيجادي في القمة دون أن تسانديني أثناء الصعود؟

كانت تزجرني بشدة على صداقاتي وعلى الوقت الذي أقضيه معهم، دون أن تجلسني بجانبها وتحدثني بحنية, دون أن تخبرني بأن الأمان وكل ما فقدته داخل جدران غرفتي لن أجده خارجها، دون أن تخبرني بأن المشاعر التي نفتقدها في العائلة لن يعوضها أي شخص من خارجها يدعي الصداقة أو الحُب.

لقد كنت أسير بخطوات خاطئة، والمسير يُظلم شيئًا فشيئًا، حروبًا نفسية خُضتُها لوحدي في مواجهات مع هذا العالم البشع، في مواجهات حقائق البشر البشعة، الاستغلالية، المريضة، في مواجهة غدر الدنيا، ومواجهة الاستفاقة من خطوات أدت بي إلى أماكن غريبة عن طبيعتي، ولا يمكنني العودة منها سالمة.

كل مواجهة كنت فيها لوحدي أخذت مني جزءًا لن يعود... البعد عن العائلة مهلك، والمجروح من عائلته لن يُشفى أبدًا؛ لأنها هي مأمنُك هي ملجئُك هي كل حياتك، فإن دفعتك الظروف خارجها ستصاب بندبات تبقى آثارها للأبد لن تُمحى.

أمي...لقد افتقدت منك يومًا واحدًا أحس فيه بمشاعرك تجاهي، يوم تخبرينني فيه أنك تحبينني، يوما واحدا كان يكفي أن لا أكون كما أنا اليوم، حيث طبيبك النفسي لا يستطيع مساعدتي.

لا بأس ما دمت استفقت من غفلتي، لقد كبرت وتفهمت، أنه ليس ذنبك أيضا، كل شيء يبدأ من العائلة.

إهداء إلى كل أم وأب... هذا جزء صغير من قصة كارا، لا يجدر بك أن تبتعد عن ابنك مهما حصل، لا يجدر أن تحرمه من مشاعرك تجاهه وأن تحسسه وتخبره بأنك تحبه، أن تدعمه وتكون معه دومًا وتحل كل شيء معه بسلمية، لا يجب أن يظن يوم أن الخارج أفضل من دفء عائلته؛ لأن ذلك سينتهي بندبات وأمراض نفسية لن يُشفى منها.

بحمرة سلسبيل/ الجزائر.

زهور اللافندر

كل الحكايات تبدأ من نقطة ما ومن بداية ما إلا أنا، حكايتي لم أعرف إلى اليوم كيف بدأت؟ هل هي صدفة ما أو أنه القدر الذي تلاعب بالزمن فجعل الغير حقيقي ؟

حقيقة المدهش في حكايتي أني عشقت زهور اللافندر ، فكنت دومًا أضعها جانب نافذة الغرفة وأراقبها عن كثب، حينها كنت أنام بجانبها ولا أشعر بنفسي إلا وأنا في عالم آخر ليس بعالمنا مكان يدعى اللافندر.

إنها أجمل ممالك الكون التي لا تُرى إلا مرة واحدة كل خمس قرون ، هذا ما أخبرني به صاحب القبعة السوداء أو لنقل إني من أطلقت عليه هذا الاسم الغريب؛ لأنه كان صديقي الوحيد في مملكة اللافندر، كنت أذهب إليها عند نومي وأعود في الصباح إلى مكاني.

يومًا ما غادرت المملكة وكأن شيئًا ما قد حدث في عالمي وعندما استيقظت وجدت أمي مريضة جِدًّا، وحالتها تزداد سوءًا؛ فنقلناها إلى المشفى وبقيت معها أسبوعًا كاملًا، حتى أني قد نسيتُ الزهور في المنزل ولم أقم بسقيها.

عدت إلى المنزل مرهقة وكل تفكيري في أمي فوجدت أبي في غرفتي ولكن لم أجد الزهور أمام نافذتي، فقلت له بقلق شديد وتوتر: أين اللافندر يا أبي؟

الأب: لقد رميتها البارحة؛ لأنها من الممكن أنها سبب مرض والدتك!

كيف؟ غير صحيح هذا غير ممكن أبدا، أرجوك يا أبي، أين رميتها؟

الأب: لا أفهم سبب إصرارك عليها، قلت إني لا أرغب بها في منزلي وانتهى النقاش ولا أريد زهرة أخرى في منزلي.

خرج أبي غاضبًا وسقطت على الأرض أبكي بشدة وحسرة، لا أعلم ماذا حل بهم في مملكة اللافندر وخاصة صاحب القبعة السوداء.

نزلت الدرج وغادرت المنزل فوجدتها مرمية بجانب القمامة، فحملتها وأدخلتها سرًا إلى المنزل، تلك الليلة لم أنم وأنا بانتظاره؛ لعله يأتيني كالعادة، لكنه لم يأت.

فجأة فقدت الأمل بظهوره فسقطت من عيني دموع غزيرة جِدًّا، شعرت أن أمرًا ما قد حدث له وسكان المملكة.

انعكس ظله أخيرًا في غرفتي وهو يضع فوق رأسه تلك القبعة، وألقى التحية كغير عادته وكان يبدو متعبا للغاية.

هرولتُ إليه بأقدام حافية لأراه عن قرب، لكني تفاجأت بأنه مصاب وكانت الدماء تملى جسده, توقفت وأنا أنظر إليه بدموع تنزل على خداي ولم أفهم ماذا جرى له ليكون بهذه الحالة، كاد أن يقع لكني أمسكت به ودموعي تتساقط، فأمسك يدي وأعطاني زهرة اللافندر وابتسم لي وقال: إنها لك ومن أجلك يا أميرة.

-لم أفهم من فعل بك هذا؟ قل لي ماذا جرى؟؟

أغمض عينيه وقال لي: لقد كشفوا السر، لقد عاد من جديد.

تهاني لكحل/ الجزائر.

بصيص أمل

ميزنا الله -سبحانه وتعالى- عن سائر خلقه بالعقل، أعطانا إياه؛ لنفكر ونستفيد منه، إن لم نفعل هذا فما الفائدة من وجوده؟ هذه حكايتي ورحلتي الصغيرة، سأسردها لكم.

أنا حارث، بلغت من العمر عشرين عامًا ولم أكن قد تعلمت القراءة والكتابة بعد؛ بسبب عدم توافر مدارس في قريتي.

قضيت عمري في العمل في حقل بسيط، لم أكن الوحيد الذي لم يتعلم القراءة والكتابة، فقد كان كل أبناء قريتي مثلي كذلك.

في قريتنا عليك أن تعمل وتعمل؛ لتكسب قوت يومك. لم أنهل من بحور العلم ولم تلمس يدي صفحات كتاب، كنت فقط أعمل دون توقف، أبذل جهدًا كبيرًا؛ لكي أحصل على بعض الأموال التي بالكاد تكفيني لجلب الطعام؛ كي أستطيع مواصلة العمل.

عشت هكذا فقط أعمل بجد وآكل وأنام، هذه الحياة التي عرفتها ولم أعرف غيرها.

كانت هذه حياتي، حتى جاء ذلك اليوم الذي أتى فيه رجلا غريبا لم أعتد على رؤيته في الحقل الذي أعمل به، اقترب مني الغريب وقام بإعطائي ورقة، أخبرته أنني

لم أفهم ما بالورقة. فنظر إليَّ باستغراب وقام بسؤالي بحيرة كيف؟ أجبته بخجل والعرق بتصبب مني: لأنني لا أعرف كيف أقرأ؟

سألني: ولماذا؟

قلت له بحزن: لأنه لا يوجد في قريتي مدارس، علينا جميعًا أن نعمل؛ لأجل الحصول على قوت يومنا.

ابتسم وقال: ما رأيك أن تبني أنت مدرسة؟

ضحكت وقلت: أنا؟ وكيف هذا؟ إذا كنت أنا لا أستطيع القراءة أو الكتابة، وبالكاد أجني ما يكفيني لجلب الطعام.

ابتسم، ثم وضع يده على كتفي وتحدث إلي بود قائلًا : غدًا الساعة السابعة تأتي إلى حافة النهر.

استغربت دعوته تلك وقلت له بدهشة: لماذا؟

لم يجبني واكتفى بابتسامة صغيرة، ثم غادر.

قضيت الليلة أفكر في تلك الدعوة التي لم أفهم سببها، احترت هل أذهب أم لا. وفي اليوم التالي ذهبت لضفة النهر في الموعد المحدد ولم أجده، انتظرته لساعات طويلة ولكنه لم يأت. كنت أشعر بالضيق وقررت أن أذهب مبتعدًا لعدة مرات، ولكن شعورا خفيا كان يخبرني أنه على الانتظار. في النهاية هممت بالرحيل ولكن أوقفني صوته وهو يقول لي وذات الابتسامة على وجهه: هل مللت من الانتظار؟

نظرت إليه غاضبًا وسألته: لماذا تتلاعب بي؟

أعاد سؤاله بذات الابتسامة؛ فترددت قليلًا قبل الإجابة ثم قلت: لقد مللت قليلًا ولكن فضولي لمعرفة سبب هذه الدعوة هو ما جعلني أتحمل.

ابتسم وقال: إذا أنا متفائل منك ما دمت لم تتعب من الانتظار، فأنت لن تستسلم، ستنتظر وتنتظر إلى أن تصبوا إلى هدفك.

سألته بحيرة: وما هو ذلك الهدف.

قال بابتسامة: سأعلمك القراءة والكتابة وستحصل على شهادة؛ لكي تعمل كمعلم في قريتك.

قلت خجلًا: هل ستعلمني حَقًّا؟ أقصد، متى سنبدأ؟ هل يمكنني التعلم في هذا السن؟

ضحك من توتري، ثم جلس على الصخرة ونظر لي قائلًا: هيا اجلس؛ الآن سنبدأ أول دروسنا.

ابتسم لي وجلست بجانبه، بعد أيام بدأ يعلمني كيف أتهجى وكيف أكتب؟ كان الأمر في غاية الصعوبة أولًا، ثم أصبح سهلًا شيئًا فشيئًا.

بعد فترة استطعت التعلم، دخلت اختبارات عديدة وكنت أحصل على درجات عالية في كل مرة وفي كل اختبار، إلى أن وصلت للاختبار الأخير، كنت متوترة جِدًّا.

تحدث معي معلمي قائلًا لي: لقد تخطيت كل الاختبارات وحصلت على درجات عالية ولذلك لاتخافي من هذا الاختبار؛ أنت تستطيعين فعلها.

لقد تحملت كل ذلك الوقت والآن تبقت فقط الخطوة الأخيرة. أعلم أنه لا شيء مستحيل حلمك يعتمد على هذا الاختبار؛ لذلك احرصي على أن تنجحي فيه وبالتوفيق.

دخلت القاعة وأنا متوتر، جلست على المقعد وبيدي قلمي، انتظرت ورقة الاختبار النهائي وعندما أحضروها إلي خفق قلبي بشدة. خفت النظر إليها، ثم تنفست بعمق وبدأت بالإجابة. خرجت من الإمتحان وفي يوم النتائج كنت جالسا على حافة النهر أنتظر معلمي؛ لكي يحضر لي النتيجة... أتى وكان يبدو عليه الحزن..

توجهت له وسألته: ماهي النتيجة؟

أجاب بصوت خافت: النتيجة هي أنك حصلت على درجة امتياز.

صرخت بصوت عال والفرحة في عيني، هذا أسعد يوم لي، احتضنته بقوة شكرًا شكرًا أنت الأروع على الإطلاق.

سألته بحيرة: لكن لم أنت حزين؟

ابتسم بود وقال: أمزح معك، هيا لنحتفل..

وأخيرًا حققت حلمي وأصبحت معلمًا للأطفال في قريتي. اليوم استطعنا جمع التبرعات؛ لكي نبني أول مدرسة في قريتي؛ لكي يتعلم كل أبناء قريتي.

النهاية.

نورة محمد/العراق.

فراشة	4
الرجل والشرف سيان	8
خريفي الخالد	14
اغتيال, موت, انتحار, وحب	17
ما هو ذنبي	19
الرسالة الأخيرة	25
ياليت	27
بدون عنوان	29
الكل يتكلم	30
ذهب ولم يعد	32
كما تدين تدان	35
ذكريات ملقاة بعودتك	38
هل يسمح لنا القدر	40
المهرج والشيطان	48
حب مؤقت	53
الكاتبة العاشقة	55
مازلت أنتظرك حبيبي فأنا حي بجسد ميت بدونك	57
نور الفتاة الجريئة	62
العوض	66
النية الحسنة	70
الدموع السجينة	72
كل شيء يبدأ من العائلة	75
زهور اللافندر	77
بصيص أمل	79